وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية
الشعبة: تاريخ

الفكر الأوروبي وتداعياته على بلاد الشّام خلال القرن 13ه/19م

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص: الدولة العثمانية

إعداد الطالبة:
فاطمة الزّهراء فيّاد

إشراف :
أ.د/ نادية طرشون

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
عبد الرزاق تومیات	دكتور	رئيساً
نادية طرشون	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
كمال بوزريعي	أستاذ	عضواً مناقشاً

السنة الدراسية 1442-1443هـ/2021م-2022م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

القسم: علوم إنسانية

الشعبة: تاريخ

الفكر الأوروبي وتداعياته على بلاد الشّام خلال القرن 13ه/19م

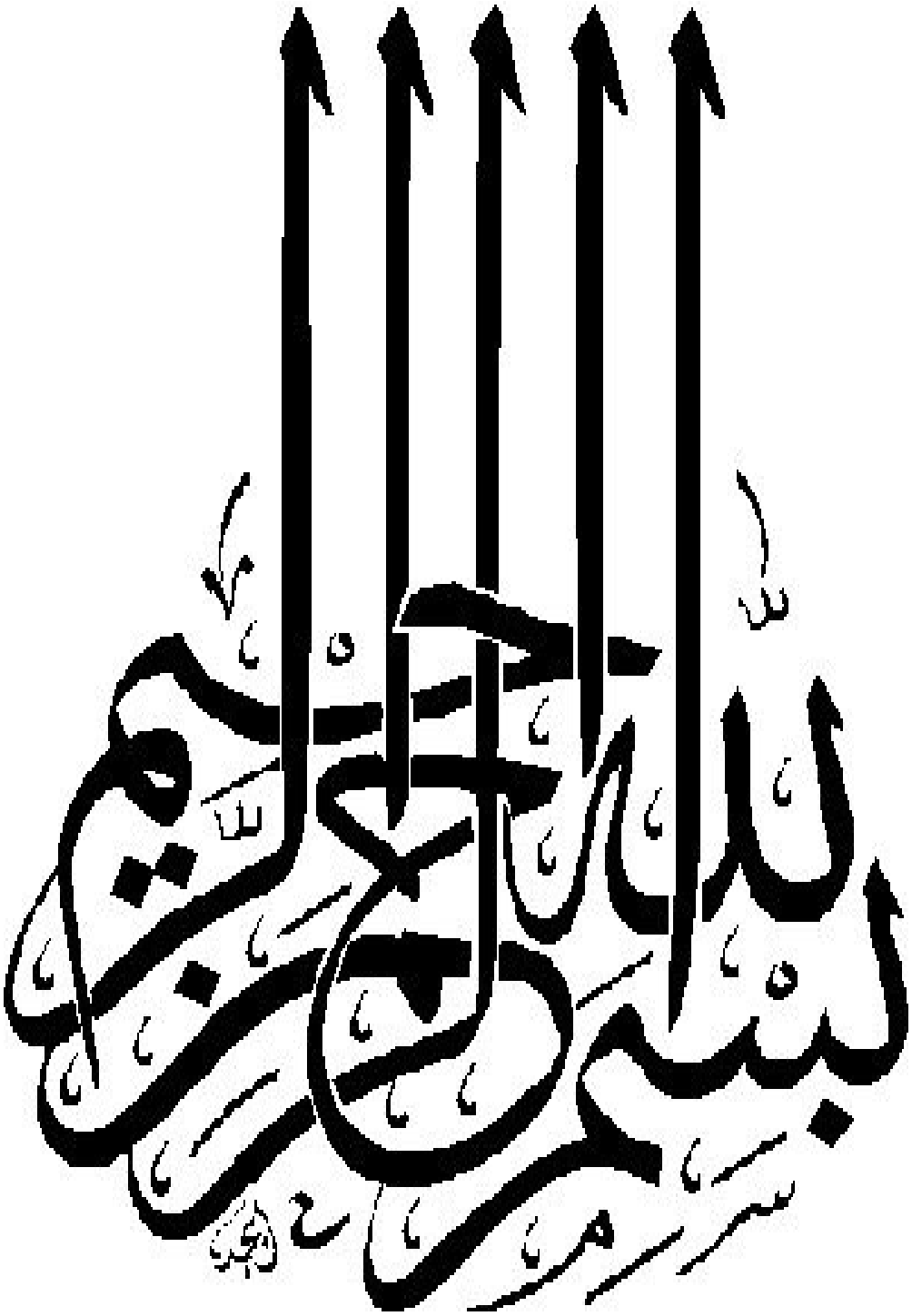
مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص: الدولة العثمانية

إعداد الطالبة:
-فاطمة الزّهراء فيّاد

إشراف:
أ.د نادية طرشون

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
عبد الرزاق تومیات	دكتور	رئيساً
نادية طرشون	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
كمال بوزريعي	أستاذ	عضواً مناقشاً

السنة الدراسي 1442-1443ه/2021م-2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى: " فاذكروني أذكركم و اشكرو لي ولا تكفرون" البقرة: 152.

إنّ الشكر الأول والأخير لله عزّ وجل الذي أغدق علينا بنعمه ظاهرة وباطنة

ومنّ علينا بنعمة العلم وقدّرنا على طلبه

فله الحمد عدد خلقة ومداد كلماته

وأتـقدم بالشكر الجزيل للدكتورة نـــــادية طرشون التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث ولكل ما قدّمته من توجيه ودعم وارشاد.

والشكر موصول للدكتورة رحماني فاطمة الزّهراء التـــي لولا نصائحها وتشجيعها لما كان العمل كما هو عليه، وأيضا الشكر للقائمين على مكتبة مخبر الدراسات المتوسطية عبر العصور وعلى رأسهم حبـــــيبة العروسي ديلمي.

الإهداء

إلى غـــــاليتي ورفيقة روحي .....أمـــــــي

إلى الحـــــنونة الطيّـــبة .....جدتـــــي

إلى الـــــــروح الطّاهرة .....جـــــدّي

إلى قوتـــــي وســـندي .....إخوتي أنور وعبد الحق

إلى من قاسموني مشاق الدنيا ..... رانيـــا وفـــاطمة

إلى من جعل مني برعمة قابلة للحياة ..... وطـــني وملاذي

إلى رفيـــــــــــقـــات الدرب

إلـــــى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع

فاطمة الزّهراء

قائمة المختصرات

تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
مر	مراجعة
د ت	دون تاريخ النشر
د ط	دون رقم الطبعة
د د	دون دار النشر
د م	دون مكان النشر
مج	مجلد
ع	العدد
ت	توفي
ص	صفحة

المقدمة

شهدت بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر تحولات وتطورات في شتى المجالات خاصة ما تعلق بالجانب الفكري منها، بفعل الاحتكاك والتواصل الحضاري مع الغرب وتمّ ذلك عبر عدة منافذ أهمها التجربة التحديثية لإبراهيم باشا في بلاد الشّام سنة 1832م والتي نقلت ما أحدثته الحملة الفرنسية بمصر سنة 1798م من متغيرات فكرية للمنطقة إلى جانب البعثات العلمية والترجمة، فضلا عن الارساليات الأجنبية وما أنشأته من مدارس وصحف وجمعيات علمية وأدبية جراء ما تمتعت به من حريات في ظل الإدارة المصرية بالمنطقة (1832-1842 م).

وقد أسهم هذا التصادم الحضاري بين الفكر الغربي والفكر العربي في إطلاع العرب عامة وأهل الشّام خاصة على الحضارة الغربية ومبادئها ونظمها وأفكارها وكذا ما حققته في ميادين العلوم، ما أدى إلى استثارة النهضة الفكرية بعدما أدرك صفوة المجتمع الشّامي ذلك الفرق الشاسع بينهم وبين المجتمعات الأوروبية، وكما أدى ذلك لتشكل الحركة القومية العربية التي كان لها بالغ الأثر في إحداث شرخ بين العرب والأتراك ومن انفصال هاتين القوميتين _ العربية والتركية، حيث لم يتعد القوميون العرب كونهم أداة استعمارية مكنت الدول الأوروبية من تحقيق أطماعها في البلاد العربية.

ولما كان من غير المفيد دراسة التأثير الغربي على الحضارة العربية ببعديها الزماني والمكاني لأنّ ذلك من شأنه أن يكون استعراضا سطحيا، ارتأينا دراسته في رقعة جغرافية ومدة زمنية محددة، فاخترنا بلاد الشام لأنّها الأسبق لاحتضان الحضارة الغربية وما حملته من مفاهيم جديدة، وقد تميّزت تجربة بلاد الشّام مع هذا الوافد الجديد-الحضارة الغربية- بالسّلمية على عكس التجربة المصرية مع الحملة الفرنسية التي غلب عليها الطابع العسكري.

ومما ساعد على نجاح هذه التجربة -الشّامية- العدد الكبير للمسيحين في بلاد الشّام الذين كانوا الأكثر انفتاحاً على الحضارة الغربية، فأدوا دور الوسيط بينها وبين العالم العربي بفعل ما تمتعوا به من حريات خاصةً التّجارية منها في ظل الامتيازات الممنوحة لهم من طرف الدولة العثمانية والتي كان للقناصل دور كبير في تثبيتها وتوسيعها.

أما اختيار القرن التاسع عشر فيعود لكونه فترة ضعف ووهن الدولة العثمانية مما أدى إلى انفلات قبضتها وتسرب الحضارة الغربية، هذا التسرب الذي وقفت عاجزةً عن صده، كما يُمثل فترة الانتعاش الفكري عقب ما عاشته بلاد الشّام من جمود، ولمّا كانت التأثيرات الفكرية الخارجية تدوم لفترة طويلة وتستغرق عقوداً لتتخمر في العقول والذهنيات ارتأينا دراسة القرن كاملاً.

دواعي اختيار الموضوع:

لم يكن اختيار هذا الموضوع محض صدفة، وإنما هو ناجم عن دوافع ذاتيه وأخرى علمية، فأمّا الأولى تتمثل في الرغبة الشخصية والملّحة لدراسة وتتبع تأثير الفكر الأوروبي على الحضارة العربية وفكرها بشكل عام، والاهتمام بهذا النوع من الدراسات الفكرية التي تُعمل العقل وتُنشط الفكر بشكل خاص، أمّا من الناحية العلمية فقد أردنا من خلال هذه الدراسة تتبع معالم ومظاهر التأثير الغربي على الثقافة العربية بصفة عامة والشّامية بصفة خاصة، وما نجم عنه من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وكذا محاولة تقصي جُذور الحركة الاستعمارية في البلاد العربية التي برزت خلال القرن التاسع عشر.

أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع الدراسة "الفكر الأوروبي وتداعياته على بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر" أهمية كبيرة من حيث أنّه يُعد من الموضوعات الجديرة بالبحث، لأنّه يمثل جزء من الدراسات الفكرية التي تحتاج إلى التأمل والتدقيق والتمحيص وبالتالي هو فرصة لمحاولة تجاوز الدراسات السطحية من جهة، وعدم التركيز فقط على الدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتزداد أهمية البحث لارتباطه ببلاد الشّام التي تُعد أحد أهم مراكز الإشعاع الثقافي الإسلامي والتي كان لها مكان بارزة في الحضارة العربية، ولكونها كذلك تمثل نموذجاً للتفاعل الإيجابي مع مستجدات القرن التاسع عشر ومتطلباته، حيث كانت منطلقاً للمحاولات الجادة لتدارك وضع الضعف والانحطاط التي أصابت المجتمع الإسلامي برمته فيما يعرف بالنهضة العربية.

الإشكالية:

إنّ بلاد الشّام بحكم موقعها الجغرافي وتنوع اثنياتها وتعدد طوائفها الدينية وانفتاحها على الامتيازات مع لامركزية الحكم العثماني حوّلها إلى منطقة مفتوحة أمام التأثيرات الخارجية الأوروبية، سواء كانت فكرية أو اقتصادية أو سياسية مما جعلها تستقطب تطورات الفكر في أوروبا وتستوعبها وتتأثر بها. ومن هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

- ما هي طبيعة الفكر الأوروبي الذي تسرب إلى بلاد الشّام؟
- ماهي مضامينه؟ وما مصادره؟
- ماهي منافذ هذا التغلغل أو التسرب؟
- ما مظاهر ونتائج هذا الاحتكاك الفكري الأوروبي وبلاد الشّام؟

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات التي سلطت الضوء على هذا الموضوع رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر المعنونة **بـالحياة الفكرية في مصر وبلاد الشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من 16م إلى منتصف القرن 19م** من إعداد **فتيحة علواش** والتي تم مُناقشتها بجامعة الجزائر 02 سنة 2014م، تعرضت من خلالها للعوامل المؤثرة على الحياة الفكرية في مصر وبلاد الشّام، ومظاهر التواصل الفكري بين المنطقتين والعالم الاسلامي من جهة والعالم الغربي من جهة أخرى، كما عرضت بالتفصيل المؤسسات التعليمية ونماذج من الإنتاج الفكري لتلك الفترة.

أما الدراسة الثانية فهي أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان **دور الاتجاهات القومية في تقويض الدولة العثمانية 1876-1923م**، من إعداد **مراح الهادي** بجامعة المسيلة سنة 2020م، والتي تعرّض من خلالها للقومية العربية عوامل نشأتها وأثر الفكر الأوربي في ذلك، وأثرها على الدولة العثمانية والبلاد العربية، كما تعرض إلى دور المسيحيين العرب في هذه الحركة ومدى تأثّرهم بأفكار مدارسهم الأجنبية.

بيد أنّ الدراسة الأولى ركزت على الفترة التي سبقت القرن التاسع عشر، لذلك لم تعرض ما خلفته المؤثرات الغربية على بلاد الشّام وخاصة تلك التي تعلقت بما اصطلح عليه بالنهضة العربية.

أمّا الدراسة الثانية فاقتصرت على دراسة القوميات ودور المؤثرات الأوروبية في نشأتها دون الخوض في باقي ما ترتب عن الموجة الغربية.

كلتا الدراستين سلطت الضوء على جزء من الموضوع دون سواه، وهذا الذي سنحاول تغطيته من خلال معالجة موضوع الفكر الأوروبي وتداعياته على بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر.

المنهج المتبع في الدراسة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**، فالوصفي في سرد الأحداث وترتيبها ومناقشتها، أمّا التحليلي فمن خلال إبراز سمات وخصائص الفكر الأوروبي ومدى تأثيره على الحياة الفكرية وتوجهاتها في بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر ومحاولة تفسيرها وتحليلها في إطار يجعل القارئ يستوعب أهميتها ومدى الدور الذي أدته المؤثرات الأوروبية في التحكم في الواقع العربي المعاصر.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وللإجابة عن الإشكالية التي طرحناها، تم اعتماد خطة تشمل مقدمة وثلاثة مباحث بالإضافة إلى خاتمة.

مقدمة: تم التطرق فيها لتمهيد حول الموضوع وأهميته التاريخية وأسباب اختيار الموضوع بالإضافة إلى الإشكالية والخطة المتبعة، وذكر المنهج فضلا عن ذكر الدراسات السابقة لهذا الموضوع والتعريف بأهم المصادر والصعوبات التي واجهت الباحث.

المبحث الأول: يستعرض نشأة وتطور الفكر الأوروبي والمراحل التي مرّ بها بداية من العصور الوسطى إلى النهضة فعصر التنوير، كما نتطرق من خلاله إلى الفكر الفرنسي

من خلال الثورة الفرنسية وما حملته من مطالب اجتماعية، والفكر الإنجليزي واتجاهه الاقتصادي من خلال الثورة الصناعية، وكذلك الفكر الألماني وتوجه فلاسفته القومي.

المبحث الثاني: يدرس منافذ اتصال الشرق بالغرب والدور الذي أدته في انتقال المؤثرات الأوروبية إلى بلاد الشام من خلال التجربة التحديثية لإبراهيم باشا سنة 1832م وما ساهمت به من نقل للأنظمة الحديثة في كافة المجالات، وبالأخص تلك المتعلقة بالتعليم، وكذلك منحه –ابراهيم باشا–الحريات للإرساليات الأجنبية وما أحدثته هذه الأخيرة في مجال التعليم والصحافة والطباعة والجمعيات العلمية والأدبية، كما عرض فيه دور البعثات العلمية وحركة الترجمة في نقل المبادئ والأفكار الأوروبية إلى المنطقة.

المبحث الثالث: خصص هذا المبحث لدراسة مظاهر ونتائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام، فالمظاهر تشمل التعليم أين تمّ التطرق للمؤسسات التعليمية التقليدية ومسار استحداثها، بالإضافة إلى الطباعة وما مسّها من تحديث آلي تقني مع نماذج من الإنتاج الفكري لتلك الفترة ونماذج لأهم المكتبات، وكذا الصحافة أين تمّ تتبع تطورها وانتقالها من مجال الأخبار والثقافة إلى معالجة القضايا التي تشغل المجتمع، أضف إلى ذلك الجمعيات العلمية والأدبية من خلال تتبع نشاطاتها من المجال العلمي والثقافي إلى المجال السياسي والدعاية للحركات القومية.

أمّا نتاج الفكر الأوروبي على بلاد الشّام فعُولج من خلال ظاهرتين، النهضة العربية، جذورها، عواملها، مظاهرها ونتائجها، وأبرز روادها، كما تمّ التطرق للحركة القومية أسبابها، مظاهرها وأشهر من قادها وما جرّته من توجه استعماري نحو المنطقة.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

أ-المصادر:

- الجبرتي عبد الرحمن بن حسن كتاب مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس تناول أحداث الحملة الفرنسية على مصر مُنذ دخولها إلى غاية مغادرتها المنطقة سنة 1801م، حيث تطرق إلى ما أحدثته من تغيرات على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

- محمد كرد علي حال بلاد الشّام في مطلع القرن الرابع عشر هجري أين طرح فيه بالتفصيل حال الصحافة في بلاد الشّام في تلك الفترة، فعدّد جميع الصُحف وأرفق كل صحيفة بالواجهة الأمامية لها.

ب-المراجع:

- خليل صابات تاريخ الطباعة في الشرق العربي، حيث أفادنا في العديد من الجزئيات الخاصة في موضوعنا منها المطابع في الشام، بالإضافة إلى أهم منشوراتها.

-ليلى الصّباغ تاريخ العرب الحديث والمعاصر أفادنا في معرفة الأحوال الفكرية في بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر، والسّمات العامة لليقظة العربية ومظاهرها ومُجمل عواملها.

صعوبات الدراسة:

كأي بحث تاريخي لم يخل هذا العمل من الصعوبات، حيث واجهنا صعوبة كبيرة في الالمام بالموضوع وإيفائه حقه نظراً لشساعته وتشعبه وخاصة طول مدته التي تتماشى مع القرن التاسع عشر لتتجاوزها في بعض الأحيان إلى أوائل القرن العشرين، ما أدى إلى صعوبة التحكم في عدد المطالب والمباحث وموازنتها، إذ تطلبت طبيعة البحث التركيز على مواضيع على حساب أخرى، إضافة إلى صعوبة تحديد الفروق بين مظاهر ونتائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام، خاصة ما تعلق بالطّباعة والصحافة والجمعيات نظراً لتشابهها وتشابكها.

المبحث الأول:

أصول الفكر الأوروبي.

المطلب 01: الفكر الفرنسي.

المطلب 02: الفكر الإنجليزي

المطالب 03: الفكر الألماني

اختلف مؤرخو النهضة الأوروبية في تحديد بدايات تبلور وتشكل ما يعرف بالفكر الأوروبي، إلا أنّهم أجمعوا على أنّ هذه الأخيرة قد مرت بمرحلتين رئيسيتين هما: فترة العصور الوسطى (05-15 م) وفترة العصور الحديثة (15-18م)[1].

شملت العصور الوسطى الفترة التي بدأت بسقوط الدولة الرومانية الغربية على أيدي البرابرة بعد منتصف القرن الخامس، واستمرت حتى منتصف القرن الخامس عشر، تميزت بالجمود الفكري وندرة الاكتشافات العلمية، وحركة تأليف شبه معطلة جراء ما لحق بالإنسان من تعسف من الأنظمة الإقطاعية وتسلط الكنيسة التي سيطرت على منابع الثقافة والتعليم، وحرصت على تفشي الجهل والتخلف لضمان استمرارية هيبتها ونفوذها، ما جعل أوروبا تتخبط طويلاً فيما يعرف بعصر الظلمات[2].

أعقب هذه الفترة العصور الحديثة حيث مثّل انبثاق تلك الحركة الفكرية والتغير الذي أحدثته جسر انتقال من العصور الوسطى وظلمتها إلى فجر العصور الحديثة، وتمثلت هذه الحركة الفكرية فما اصطلح عليه بالنهضة[3] التي مست جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فظهرت النظريات العلمية التي جعلت من التجارب العلمية شرطاً أساسياً لتثبيت قواعد العلم، وعلى رأسها نظرية الفلكي **نيكولاس كوينيك Nicolas Cowinic** (1473- 1843م) التي أثبتت أنّ للأرض حركة دائرية حول الشّمس، ليدحض بذلك المعتقدات الخرافية التي روّجت لها الكنيسة، وما ساهم في إثبات صحة هذه النظريات تزامنها مع حركة الكشوفات الجغرافية التي كان لها دور كبر في إثراء المعرفة

---

[1]- أحمد حسن البرغي، الثورة الصناعية وآثارها الاجتماعية والقانونية، دار الفكر العربين القاهرة، 1782م، ص 112.

[2]- نفسه، ص112.

[3]- النهضة: هي حركة ثقافية كبرى تعنى بإحياء العلوم القديمة الرومانية واليونانية، ظهرت في إيطاليا في المنتصف الثاني من القرن 14م ثم انتقلت لتشمل باقي المدن الأوروبية بداية من فرنسا وانجلترا وهولندا، ونظراً لبُطء العملية فقد استمرت لغاية القرن 17م، ينظر: عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن 18م، دار الفكر العربي، مصر، 1997م، ص 10.

الجغرافية لدى الأوروبيين بعدما اقتصرت معرفتهم من قبل على السواحل الشمالية لإفريقيا والساحل الغربي[1] .

وقد شهدت هذه الفترة نشاطاً ملحوظاً للحركة الأدبية والفنية، فبرزت العديد من الأعمال على غرار كِتاب النثر والشّعر الإيطالي "**ديكاميرون**" لمؤلفه **بوكاشتو Boccacio** (1313-1375م)[2] والذي يُعد أحد أهم قطع الأدب العالمي، وكذا "**لوحة الموناليزا**" و"**العشاء الربّاني الأخير**" للرّسام والمهندس **ليوناردو دافينشي Leonardo Devinci (1452-1519م)**[3]، حيث يعد هذين الأخيرين من أبرز الشخصيات التي قادت الحركة الفنية النهضوية، إلى جانب ازدهار العلوم السياسية والاجتماعية ، إذ ظهر مفكرون اهتموا بدراسة أصول الحكم والمجتمع، فنادوا بإلغاء الأنظمة الإقطاعية وتحرير الفرد من العبودية وعلى رأسهم **ميكيافيلي Machiavell(1469- 1527م)** [4]من خلال ما أورده في كتابه" الأمير"[5] .

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الثورة في العلوم والآداب والتي قامت على إمامة العقل وتخليصه من الخرافات والجمود، ما كانت لتنجح إلا بتجرد العقل من الكنيسة وقيودها، وهذا

---

[1]- البطريق ونوّار، المرجع السابق، ص25.

[2]- بوكاتشيو: مؤلف وشاعر إيطالي عُرف عنه إتقانه للإغريقية فكانت له العديد من الدراسات حولها ثم اتجه نحو كتابة الشّعر والنّثر بالإيطالية، من أشهر أعماله كتابه **ديكامرون** عن نساء شهيرات في تلك الفترة، يّنظر: البرغي، المرجع السابق، ص220.

[3]-ليوناردو دافينشي: وُلد بفلورنسا، اهتمّ بالرسم والنحت والعمارة كما اهتم كذلك بالشعر والموسيقى وعلم التشريح، وصب اهتمامه في أيامه الأخيرة على الهندسة، كانت له العديد من الأعمال أبرزها: **لوحة العذراء وجورتو** إلى جانب **العشاء الرّباني الأخير ولوحة الموناليزا** سنة 1506م، يُنظر: نفسه، ص ص 220، 221.

[4]- ميكيافيلي: مفكّر وفيلسوف إيطالي، مؤسس مدرسة التنظير السياسي الواقعي، وهو صاحب مبدأ "**الغاية تبرّر الوسيلة**"، من أهم أعماله كتاب **الأمير** الذي تطرق فيه إلى ما يجب أن يكون عليه الحكم، ونادى بإلغاء الحق الإلاهي للحكّام واستبدال النّظريات السّياسية الفاسدة، ينظر: فراكلين -ل-باومر، الفكر الأوروبي الحديث القرن 17م، تر: أحمد حميدي محمود: ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م، ص 136.

[5]- نفسه، ص 136.

ما تكفلت به حركة الإصلاح الديني[1] التي انبعثت من ألمانيا لتشمل باقي الدول الأوروبية بداية من القرن السادس عشر[2].

استمرت جهود العلماء والمفكرين خلال القرن السابع عشر ، فلاحت في الأفق ملامح التغيير ، حيث ظهرت العديد من المفاهيم الجديدة التي حضّرت لروح القرن الثامن عشر ، ويعتبر **رينيه ديكارت Rene Descarte** (1650- 1696م)[3] من أهم الشخصيات التي قادت هذه الفترة، حيث أحدثت نظرياته الداعية للنقد والشّك وعدم قبول الحقائق كما هي إلا بعد إخضاعها للتجربة ثورة فكرية انطوت تحت" المذهب الديكارتي"، قد استكمل مسيرته بعده تلاميذه ومن أبرزهم **سيبينوزا Spinoza**(1632- 1677م)[4] الذي دفع بمنهج معلّمه إلى ميادين الدّين والأخلاق، حيث بيّن أنّ الدّين يخضع للنقد وأنّ العقل هو الوحيد القادر على ضبط القوانين والأسس الأخلاقية[5] .

لتتوج جهودهما بالإضافة لكل من **غاليليو غاليلي Galileo Galilei**(1564-1642م) و **إسحاق نيوتن Isaac Newton**(1642- 1727م) بانبثاق عصر التنوير[6] الذي قاد الصراع ضد ظلاميات العصور الوُسطى والأصولية المسيحية التي هيمنت على تلك

---

[1]- حركة الإصلاح الديني: حركة دينية مسيحية ظهرت في أوروبا خلال القرن 16م، وبدأت كمحاولة لإحداث التغيير في الكنيسة الكاثوليكية، انتهت بظهور البروتستانت وقادها مارتن لوثر، ينظر: نصري ذياب خاطر، تاريخ أوروبا الحديث، ط1، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م، ص 32.

[2]- نفسه، ص 34.

[3]-رنييه ديكارت: وُلد بفرنسا، فيلسوف وعالم رياضيات وفيزياء، أبرز رواد العقلانية، اعتمد معيار الشّك والنقد في البحث العلمي، صاحب مقولة " **أنا أفكر أنا موجود**"، شكّلت نظرياته النواة الأولى للهندسة التحليلية، يُنظر: حبيب سعيد، أعلام الفكر الفرنسي، دار الشرق، القاهرة، 1950م، ص ص3، 15.

[4]- سبينوزا: وُلد بأمستردام، أحد تلاميذ رينيه ديكارت، ومن مؤلفاته: مبادئ فلسفة ديكارت ولاهوتي سياسي، يُنظر: نفسه، ص 186.

[5]- خاطر، المرجع السابق، ص35.

[6]- عصر التنوير: حركة فكرية فلسفية هيمنت على أوروبا خلال القرن 18م، انبثقت نتيجة حركة فكرية علمية مُمثلة بالنهضة، سمي بعصر المنطق كونه أغلب قادته فلاسفة، تعرض هؤلاء لمطاردة الكنيسة واضطهادها ومن أبرزهم: فولتير وجون لوك ومونتيسكيو، يُنظر: باومر، المرجع السابق، ص 140.

العصور[1] ، حيث ركّز فلاسفته ومفكريه على أمامة العقل والتحلي بالمُثل العليا كالرقي والفضائل والحرية...إلخ، بيد أنّهم تعرضوا وأفكارهم التنويرية إلى القمع، فمنهم من نُفي أو قُتل، ومُنعت كتاباتهم من النّشر، ولهذه المُهمة أنشأت الكنيسة لجنة لملاحقة الكتب التي يُشتبه فيها انحراف العقيدة، فكانت هولندا الملجأ الآمن لمعظم كتاباتهم، ليُعاد تسريبها خلسة لبلدانهم خاصة فرنسا التي طغى عليها النظام الكنسي الجائر[2].

وبعد عقدٍ من الزمن تمكنت أفكار عصر التنوير من تقويض سلطة الكنيسة والسلطة المركزية، ممهدة الطريق للثورات السياسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على غرار **الثورة الأمريكية** عام 1776م و**الثورة الفرنسية** سنة 1789م[3].

المطلب 01: الفكر الفرنسي.

عرفت أوروبا خلال القرن الثامن عشر موجه من الأفكار والمعتقدات طالبت بالدّفاع عن حقوق الأفراد وحرّياتهم المدنية والدينية، وقد تجلت هذه الأفكار في الثورة الفرنسية سنة 1789م[4] التي كانت انقلاباً على النُظم القائمة في فرنسا، حيث سعت لوضع حد للنّظام الملكي وهدم الأنظمة الإقطاعية، فكانت ثورة سياسية واجتماعية واقتصادية، ولعلّ هذه الصفة الجامعة هي ما جعلها تحتل في التاريخ تلك المكانة المهمة[5].

---

[1]– باومر، المرجع السابق، ص 142.

[2]– رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي، تر: أحمد الشيباني، ط 3، دار القارئ العربي، مصر، 1994م، ص ص 170، 174.

[3]– نفسه، ص 185.

[4]– الثورة الفرنسية 1789م، هي ثورة جماهيرية اجتماعية عميقة قامت في فرنسا سنة 1789م، رفعت 03 شعارات **الحرية، المساواة، العدل**، فأحدث بذلك انقلابا جذريا في الحياة السياسية والاجتماعية، وأسّست لأفكار ونظريات الحكم والدولة، وقدمت نموذج النظام التعليمي والتقني فكان لها بذلك آثاراً على أوروبا والعالم بأسره، يُنظر، عبد العزيز سليمان النّوار ومحمود محمد جمال الدّين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 199م، ص ص 10، 15.

[5]– للتوسع أكثر في أسباب قيام الثور الفرنسية، يُنطر: ألبير سيول، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسيني، ط 4، منشورات عويدات، بيروت، 1989م/ ص ص 63، 68.

ومن العوامل التي أجّجت النفوس ودعت إلى ضرورة التغيير نذكر الأنظمة الملكية التي عرفتها فرنسا والتي استندت إلى نظرية الحق الإلاهي، والنظام الطبقي الخالي من العدالة، إذ تكون المجتمع من ثلاث طبقات، طبقة النُّبلاء ورجال الدّين بينما الطبقة العامة والتي مثلت الأغلبية لم تتعدى كونها خادمة لمصالح الطبقات السابقة الذكر[1].

أمّا من الناحية الاقتصادية، فقد أدت الأزمات المالية إلى ركود الإنتاج وتدهور الأوضاع خاصة تلك التي تعلّقت بالطبقة العامة إذ ازدادت فقر[2].

وإلى جانب هذه العوامل ساعد الجو العام في فرنسا والذي تم تهيئته من قبل الفلاسفة والمفكرين الذين نقدوا ما كان موجود في بلادهم من أنظمة سياسية واجتماعية فاسدة على إشعال فتيل الثورة، حيث رأوا أن الحل يكمن في المساواة والحرية وإعادة الحقوق الطبيعية للأمة، ومن أبرز هؤلاء نذكر**فولتير Voulter** (1694- 1778م)[3] الذي دعا إلى نظام ملكي مستنير لا يُقصى فيه المفكرون وعامة الشعب من الحكم حيث استقى نظريته هذه من نظام الحكم الإنجليزي، جراء تأثره بما لمسه من حرية الشعب وما تمتع به من حيوية ثقافية إثر زيارته لإنجلترا سنة 1729م، فكان بذلك سفيراً للفلسفة الإنجليزية لبلده[4]، وقد عرض أفكاره هذه وناقشها من خلال كتابه **آراء الجمهورية** الصادر سنة 1765م، كما تطرق كذلك من خلاله إلى مفهوم الحكومة المدنية ، فعرّفها بأنّها إرادة الكل يقوم بتنفيذها شخص أو مجموعة من الأشخاص تِبعاً للقوانين التي يدين الجميع لها بالخضوع، ونادى إلى تطبيق هذا النّظام في فرنسا[5] .

---

[1]- خاطر، المرجع السابق، ص 35.

[2]–نفسه، ص 36.

[3]– فولتير: كاتب وفيلسوف فرنسي، نقد نظم المجتمع وسعى إلى الإصلاح الاجتماعي ومن أهم مؤلفاته نجد: رسائل **فلسفية 1734 م**، و**المعجم الفرنسي 1764م**، وهو أول من استخدم الكُتب الصغيرة المحمولة في الجيب، يُنظر: حبيب، المرجع السابق، ص ص 55، 63.

[4]– البرغي، المرجع السابق، ص 102.

[5]-خاطر، المرجع السابق، ص 40.

أمّا عن الحرية فاعتبرها حقا طبيعياً، كما أشاد بفكرة المساواة من خلال قوله " لا توجد بلدان تستحق التضحية والسكن فيها أكثر من بلدان يجتمع أهلها للقانون متساوين"[1].

وإلى جانب آرائه هذه نادى **فولتير** بإصلاح القضاء عن طريق توحيد القانون وتطبيقه بطريقة عادلة، وتعديل ما يخص العقاب والتعذيب، بالإضافة إلى مطالبته بإصلاح نظام الضرائب وإلغاء المحلية منها[2]

كانت ميزته الكبرى هي تفوقه في فنون النقد، فكان هجومه على الكنيسة لاذعاً أنكر فيه تدخلها في السياسة وانصرافها عن المسائل الروحية، كما هاجم سياسة التعصب الديني، وطالب بتطبيق مبدأ التسامح، وأدان مفاسد الحكم المطلق، بيد أنّه لم يوجد حلاً من خلال كتابته بل اكتفى بالهجوم والنقد اللّاذع العنيف على الكنيسة والأنظمة السائدة في تلك الفترة[3].

كما نذكر كذلك **مونتيسكيو Montesqiue** (1689- 1755م)[4] الذي انتهج منهج **فولتير** فأدان الأنظمة الاستبدادية، وأظهر مساوئ الحكم المطلق، حيث طعن هو الآخر في سياسة التعصب الدّيني، ونادى بإحلال العدل متأثراً بالأنظمة الإنجليزية حيث زارها سنة 1729م، وأورد أفكاره هذه ضمن كتابه **روح القوانين** الذي حلّل فيه تحليلاً دقيقاً أنظمة الحكم المطلق حيث قال: "إن النظام الإنجليزي هو أوفى الأنظمة وأقدمها...، فهو نظام يمنع الطغيان والأصح أن تستفيد منه" [5]، كما ربط **مونتيسكيو** النظام الناجح بالمدينة، التي لا تتحقق إلا بمبدأ فصل السلطات فتقسم إلى ثلاث هيئات مستقلة، الهيئة التشريعية والتنفيذية والقضائية، وقد أثار هذه المسألة ضماناً للعدالة والحرية، حيث رأى أنّ صيانة هذه الحرية توجب خضوع المرئ للقانون وحده ، وهذا لا يتحقق إلّا بفصل السلطات لا بتكتلها في يد واحدة، نضيف إلى ذلك دراسته لمسائل أخرى تتعلق بنشأة الدساتير ومبادئها وطريقة عملها

---

[1] -P.Hasard,la crise de la conscience europiene(1680-1750),Fyard,P.9

[2]-باومر، المرجع السابق، ص 55.

[3]- خاطر: المرجع السابق، ص 45.

[4]- مونتيسكيو: فيلسوف وسياسي فرنسي وعالم اجتماع وأبرز رواد عصر الأنوار، له العديد من المؤلفات أهمها: **رسائل فارسية** سنة 1721م و**الملكية العالمية** 1794م، يُنظر: حبيب، المرجع السابق، ص ص 65، 67.

[5] -Montesquieu, De L'exprit des lois , Gornier flamarion,P 124.

وصيانتها، فأثرت آرائه في سياسة أوروبا في كتابة الدساتير ولا أدل من ذلك وجود اسمه في مسودات الدستور الأمريكي واعتماد نظرياته في كتابة الدساتير التي تعاقبت على فرنسا[1].

ثم علا في النهاية نداء يبدوا أنّه فاق غيره من الأصوات في ذلك العهد من حيث قوة التأثير، ونعني بذلك النداء الذي أصدره **جون جاك روسو Jean Jack Roseou**(1716-1778م)[2] والذي كان له نهج يختلف عن **فولتير ومونتيسكيو** الّذين اقتصرا على نقد النظم القائمة، والمطالبة بتحديد السلطة، فاتجه لوضع نظام جديد للمجتمع الحديث، إذ اعتبر أباً للدولة الحديثة[3].

ترك **روسو** العديد من الكتب أهمها **العقد الاجتماعي** الذي اعتبر إنجيل الثورة الفرنسية، ومن خلاله انتقد مدنية عصره واتهمهما بالفساد، ودعا أن يعود الإنسان إلى فطرته الأولى حيث الحرية والمساواة وأطلق على هذا المبدأ اسم الحق الطبيعي فقال: " يولد الانسان حراً ... لكنّه مكبّل بالأغلال من كل مكان"[4].

كان يرى أنّ العمل على إصلاح عيوب المجتمع الإنساني لا يأتي إلا بالتنظيم السياسي وإقامة حكم صالح، وأنّ أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هو أن يتعاقد الأفراد بمقتضى ميثاق اجتماعي فهذا العهد هو الذي ينشئ الدولة، كما ينشئ حق سيادة الأمّة التي تعتبر حقاً لا يمكن التنازل عليه، فإرادة الأمة صاحبة السلطة على الجميع، وأنّه على الدولة أن تتكيّف حسب روح الشعب أي روح القومية الوطنية، فالشعب هو الذي يشخّص الدولة[5].

---

[1]- خاطر، المرجع السابق، ص 45.

[2]- جون جاك روسو: فرنسي من أصل سويسري، كاتب وفيلسوف نادى بالإصلاح الاجتماعي، ودعا إلى المساواة والحرية، ينظر: حبيب، المرجع السابق، ص ص 70، 75.

[3]- لويس عوض، الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص 25.

[4]- نفسه، ص 27.

[5]- نور الدّين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، ج 1، ط 1، دار الفكر، مصر، 1979م، ص ص 23، 27.

وإلى جانب هؤلاء نجد كذلك تيار الموسوعيين، حيث تُوجت حركة ازدهار الآداب والفلسفة والبحوث التاريخية وغيرها في فرنسا بظهور دائرة المعارف في 34 مجلد، ما بين عامي 1754م و 1772م سميت بموسوعة **الانسكلوبيديا** تضم بيانات عن موضوعات شتى السياسية والاقتصادية والتاريخية، كان لها الأثر على فرنسا وتعدتها إلى سائر الأقطار الأوروبية، وتكلف كل من **ديدرو دنيس Denis Diderot** (1713- 1754م)[1] و**ألمير جون** (1717- 1783م)[2] بتأليفها والاشراف عليها[3].

تكللت جهود المفكرين الفرنسيين بإنشاء جمعية وطنية سنة 1789م، والتي كان لها الدور الأبرز في إعلان حقوق الإنسان، حيث كانت أول قاعدة قرّرتها الجمعية أنّ النّاس يُولدون ويعيشون أحراراً متساوين في الحقوق، ثم غيّر ذلك من القواعد ولكنّها كلها تعميم وتفريع عن هذا الأصل الشامل الذي نص على حقي الحرية والمساواة، ويلاحظ أنّ هذا الإعلان حمل الكثير من المبادئ التي دعا إليها روسو[4]، كما كان أثر وثيقة الاستقلال الأمريكي واضحاً، ولعل مرد هذا لكونه مشبع بحريات وحقوق الأفراد، وقد نُشر هذا الإعلان كمقدمة لدستور 1791م الذي جاء معبراً إلى حد كبير عن المبادئ التي دعا إليها فلاسفة عصر الأنوار ، فأقر الديمقراطية وسيادة الأمة واعتمد مبدأ فصل السلطات[5] .

ونخلص إلى القول أنّ الثوة الفرنسية لم تكن حادثاً بارزاً في تاريخ فرنسا فقط وإنما هيا أحد أبرز أحداث القارة الأوروبية كونها كانت نقطة تحول في النُظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومعالجة الفاسد منها.

---

[1]- ديدرو دنيس: فيلسوف وموسوعي فرنسي وكاتب مسرحي، نادى بالحرية وامامة العقل ونقد الأنظمة الإقطاعية، ينظر: حبيب، المرجع السابق، ص 80.

[2]- ألمير جون: فيلسوف وعالم رياضيات وموسوعي فرنسي اشتهر بمشاركته في الأنسكلوبيديا وأبحاثه في الرياضيات، ينطر: نفسه، ص 95.

[3]- عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م، ص ص 28، 30.

[4]- نفسه، ص 32.

[5]- عبد العزيز سليمان النوار وعبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، لبنان، 2014م، ص ص 45، 48.

وكون الدول الأوروبية كانت في غالبيتها تشكو مما شكت منه فرنسا، انتهجت نهجها واستنارت بالثورة ومبادئها معلنة بذلك بداية الثورات والحركات المناهضة للأنظمة الاستبدادية التي عرفها القرن التاسع عشر.

المطلب 02: الفكر الإنجليزي.

بينما كانت فرنسا تعاني من الأنظمة الاقطاعية والحكم المستبد، كانت إنجلترا في أثبت حال من الاستقرار والهدوء، مما جعلها سبّاقة نحو الثورة الفكرية والصناعية فعلى الرغم من أنّها مملكة وراثية، إلا أنّها لم تكن ملكية مطلقة، ذلك أنّ العهد العظيم[1] الذي كان قد مضى عليه ثلاثة قرون، جعل ممثلي البلاد يشتركون في حكمها مع الملك، وعلى هذا بُني البرلمان[2].

تمتعت إنجلترا بقوانين معتدلة، كما تمتع شعبها بكافة الحقوق على غرار حرية الرأي والمساواة وحق الاجتماع وحق التعليم، ورغم هذه الوضعية السياسية إلا أنّ ملوك إنجلترا حاولوا إقصاء البرلمان من الحكم، الأمر الذي تمّ التصدي له عن طريق ثورة 1688م[3].

تأثر كل من أقام بإنجلترا بنظام الحريات الذي اتبعته على غرار ما حدث مع **مونتسكيو** و **فولتير** كما سبق الذكر مؤثرة بذلك في فرنسا فباقي أوروبا، ونتيجة لما وفرته إنجلترا من حرّيات وطبيعتها البرلمانية، وجد العلماء والمفكّرين الأجواء المناسبة لاتقاد علومهم، فبدأ القرن السابع عشر بالنظريات البراقة **لـــفرانسيس بيكو Francis Bacon** (1561- 1626م) انتهى بإثبات إسحاق نيوتن المحكم أنّ الكون بأكمله وحدة عضوية وبين عهدي هذين العالمين فصل طويل ان جهود العلماء الإنجليز بدأت باكتشاف **هارفي**

---

[1]- العهد العظيم: هو مجموع القوانين الأولية التي بُني عليها البرلمان، كما بنيت عليه باقي وظائفه حيث يجتمع مرة واحدة في العام لدراسة الشؤون الداخلية والخارجية، ولشؤون التشريع وفرض الضرائب، يُنظر: جفري بروان، تاريخ أوروبا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط 1، دار الاهلية، مصر، 2006م، ص267.

[2]- نفسه، ص 270.

[3]- ثورة 1688م: سميت بالثورة المجيدة عُزل على إثرها **جيمس الثاني** الذي فرّ إلى فرنسا واستدعيت **ابنة ماري الثانية** وزوجها **وليام اورانج** للحكم أين تعهدا باحترام القوانين والبرلمان فكان هذا الأساس لإعلان الحقوق الذي أقرّ رسميا في 03 فبراير 1688م، يُنظر: نفسه، ص 285.

للدورة الدموية سنة 1642م، تلاه ما حققته **روبرت بويل** في الكيمياء، عقبته إنجازات كل من **توماس هوبز** و**ديفيد هيوم** في ميدان الفلسفة، ليبقى **جون لوك Jean Locke** (1632-1704م)[1] الاسم الأبرز في هذا المجال حيث يُعتبر هذا الأخير مرجعية عصر الأنوار، إذ حوّل أنضار النّاس من الأبحاث حول وحدانية الله وما وراء الطبيعة إلى المعرفة وطرق الوصول إليها عن طريق الحس والتفكير، كان أول من نادى بفكرة المنطقية في طبيعة الحكم ونضامه، أي أن لا تقوم حكومة مدنية إلا إذا رضاها المحكومون [2].

آمن **لوك** بالتسامح الدّيني مما جعله يضع نظرية **العقد الاجتماعي** للحفاظ على حقوق الأمراء وحمايتهم فقال: " ... إذا كان الإنسان في الحالة الطبيعية يولد بهذا القدر من الحريّة فلماذا يتنازل عن حريته ...إنّ الهذف الرئيسي الذي يجعل الناس يتحدون في جمهوريات هو الحفاظ على ممتلكاتهم"[3].

وقد كان لنتاجه الفكري دور مهم في إعلاني حقوق الإنسان الأمريكي عام 1787م والفرنسي سنة 1789م، حيث أعلن بذلك مبادئ الحق السياسي الحديث.

تواصلت سلسة إنجازات العلماء والمفكرين الإنجليز، حيث شهد القرن الثامن عشر وابتداءً من سنة1760م نمو الثروة الاقتصادية، فبعدما كانت بلداً زراعياً بدأت تتحول إلى بلاد صناعية ليظهر ما اصطلح عليه **بالثورة الصناعية**[4].

---

[1]- جون لوك: مفكر سياسي وفيلسوف انجليزي، خريج جامعة أكسفورد من دعاة سيادة الشعب ومقاومة الاستبداد والتسامح الدّيني، كما عمل على تأكيد أحقية البرلمان، يُنظر: أشرف صالح السيّد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط 1ن دار ناشري، الكويت، 2009م، ص 10.

[2]- نفسه، ص 14.

[3] -Jean Locke, Deuscieme de goevernement civil ,vrian, P 146.

[4]- الثورة الصناعية: هي تحولات علمية واقتصادية واجتماعية كبرى شهدتها بريطانيا في أواخر القرن 18م باكتشاف الآلة البخارية، من أهم نتائجها ازدهار الصناعة كصناعة النسيج واستخراج الفحم وتوسيع شبكة المواصلات، ينظر: السيّد، المرجع السابق، ص 25.

جاء اكتشاف طريقة معالجة خام الحديد بالفحم، بعد أن كان يعالج بالخشب ليجعل إنجلترا الغنية بالحديد والفحم قاعدة للصناعات المعدنية، لم يقدر أحد على منافستها في هذا المجال لفترة طويلة[1].

صاحب هذا النمو الاقتصادي ثورة زراعية وثورة في وسائل المواصلات، وأخرى في آلات الإنتاج خاصة بعد ما أدخله **جيمس واط** من تعديلات بحيث اهتدي لطريقة استعمالات البخار الذي أصبح قوة الدفع للآلات على اختلافها، وهذا يعتبر التاريخ الحقيقي لبداية الثورة الصناعية، ليكون لإنجلترا السبق بما يربو عن نصف قرن عن سائر بلاد أوروبا باتخاذها الدولة الحديثة ذات المستوى العالي من الصناعة[2].

ونتيجة لتطور آلات الإنتاج اتسعت المدن وانتشرت المصانع التي كانت بحاجة إلى المواد الأولية، ولأسواق خارجية لتسوق منتوجاتها، هذا الأمر الذي يفسر الحركة الاستعمارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[3].

وفي ظل هذا النمو الاقتصادي والحركات الاستعمارية سيطرت إنجلترا على المدارس الاقتصادية وفرضت سيطرتها على باقي دول العالم، فنجد **المدرسة الكلاسيكية** و**الرأسمالية** المبنية على الفلسفة التي جاء بها **آدم سميثAdam Smith**(1773- 1790م)[4] من خلال كتابة **ثروة الأمم** إيذاناً بالنظام الرأسمالي الذي فرض سيطرته عن العالم، وما إن بلغ هذا النظام مرحلة النضج حتى ظهر **كارل ماكسKarl Max** (1818- 1832م) [5]منتقداً لهذا

---

[1]- بروان، المرجع السابق، ص 292.

[2]- حاطوم، المرجع السابق، ص95.

[3]-السيّد، المرجع السابق، ص 95.

[4]- آدم سميث: فيلسوف وأخلاقي وعالم اقتصاد اسكوتلندي، مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي الرأسمالي، حيث تدعو الرأسمالية إلى حرية التجارة والاعتماد على المصلحة الفردية والاعتماد على قانون العرض والطلب، يُنظر نور الدّين حاطوم، المرجع السابق، ص35.

[5]- كارل ماركس: فيلسوف ألماني وعالم اجتماع وناقد اقتصادي نزعت منه الجنسية بسبب كتاباته فغادر نحو إنجلترا وهو رائد المدرسة الاشتراكية التي تدعو إلى إلحاق الفرد بالمجتمع وهي عكس المذهب الفردي تدعو إلى بناء عالم اقتصادي دون مساعدة الدولة في جمعيات التعاونية حيث تستبدل مبادرة الافراد بالعمل الجماعي، ينظر، السيد، المرجع السابق، ص 102.

النظام الذي لم يراه سوى هوة تزيد اتساعا كل يوم بين الثروة والفقر ، واستغلال طبقة العاملين دون رحمة، فنادى بالاشتراكية كحل بديل[1].

وفي الأخير يمكن القوا أنّ الطبيعة البرلمانية لإنجلترا ساهمت في توفير الجو الملائم من ضمان للحريات وتشجيع المبادرة الفردية للعلماء والمفكرين الذين توجهت جهودهم الفكرية بما يعرف بالثورة الصناعية التي أحدثت تطوراً كبيراً في التقنيات، وطبيعة وسائل النقل والاتصال كالمركب البخاري والسكك الحديدية والتلغراف مما ساهم في تطويرها في كافة الميادين وجعلها البلاد الصناعية الأولى في أوروبا، لتنقل هذه التقنيات لـى باقي الدول الأوروبية بداية من القرن التاسع عشر.

[1]- السيد، المرجع السابق، ص 105.

المطلب 03: الفكر الألماني.

على عكس كل من إنجلترا وفرنسا، كانت ألمانيا لم تعرف الوحدة بعد ولا تزال تصارع ظلمات العصور الوسطى، فلقد كان القرن السابع عشر بالنسبة لها عصر إعياء فكري ولم يرتفع فيه سوى اسم الفيلسوف ليبنتز الكبير، ومنذ عام 1740م بدأت الحركة الفكرية الأدبية تتحرك نحو كسر الخمود[1]، حيث شهدت ألمانيا في القرن الثامن عشر كأوروبا عصرها في فلسفة الأنوار، واتصف التنوير من نواح عدة بالسمات المميزة ذاتها التي تميزت بها باقي أوروبا، غير أن كبار الكتاب والمفكرين الالمان خرجوا عن تقليد فرنسا وانجلترا.

ففي الثلث الأخير من القرن اشتهر هذا الجيل بأسماء لامعة **فختة**, **كانط، هردر** و**هيجل**، لكن **كانط** نال حصة الأسد في التاريخ حيث اعتبر أكثر الفلاسفة الالمان تأثيرا[2].

-كانط kant (1724- 1804م)[3] مال إلى المنطقية الصرفة وكرّه الجهل، فحدّد عصر التنوير بقوله:" ... إنّما هو انعتاق الانسان، وقد خرج من القصور العقلي الذي عاش فيه ... فلتكن لديك الجرأة على استخدام قوة الحكم عندك ذلك هو شعار التنوير"[4] ، لكن التنوير الذي مجّده **كانط** لم يتخذ إلا لنخبة ضئيلة، لم يكن حركة أفكار سياسية إنما اهتم بالمشكلة الدينية والأخلاقية، هذا ما جعل **كانط** يشعر بضرورة تأسيس فلسفته لا على التجربة بل على مقولات العقل الخالص، حيث تأثر بكل من **مونتيسكيو** و **روسو** بالأخص، فهو يقتبس عن **مونتيسكيو** مبدأ فصل السلطات وعن **روسو** فكرة المساواة لكنّه غيّر نظرية العقد الاجتماعي

---

[1]- محمد عبد المعز نصر، فلسفة السياسة عند الألمان، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص 41.

[2]- جورج قرم، تاريخ أوروبا بناء اسطورة الغرب، تر: رلي ديبان، ط 1، دار العرابي، بيروت، 2011م، ص 272.

[3]- كانط ايمانويل: فيلسوف ألماني وآخر فلاسفة عصر التنوير، نقد نظرية المعرفة الكلاسيكية والميتافيزيقا التقليدية، وأعطى منظوراً جديداً للفلسفة، من مؤلفاته: **نقد العقل المجرد**، يُنظر: عبد المعز نصر، المرجع السابق، ص ص 273، 275.

[4] - kant, La religion dans les limites de la simple raison,Aubier,Paris,1998 , P95.

لتصبح السيادة ليست سيادة عامة بل سيادة الدولة الجمهورية حيث يرى أنها الشكل السياسي الوحيد الذي يضمن الحقوق والمساواة[1].

استمر شتات ألمانيا فلم تشهد حتى القرن التاسع عشر ظهور الدولة المركزية لعدة أسباب يهمنا منها ما تعلق بالجانب الفكري، ذلك أنّ أحد جوانب أفكار حركة الاستنارة التي ظهرت في القرن الثامن عشر هو جانب العالمية، وقد كان لهذا الجانب تأثير بالغ لمعظم مفكري ألمانيا الذين استنكروا المشاعر القومية إلا أنّها خلقت القومية الثقافية الألمانية التي كانت مهمة في تطور الدولة الحديثة، لكن حركة الآداب هذه التي عاشتها ألمانيا خلقت مفكّرين وفلاسفة اعتبروا الوطنية عيباً وضعفاً، لتختلف بذلك القومية الوطنية في ألمانيا على ما كانت عليه إنجلترا وفرنسا[2].

ومن أشد الفلاسفة احتقاراً للوطنية القومية ومن صلبه أخرجت نظرية جديدة في القومية **هردر Jahan Herder** (1774-1804م)[3]، حيث قامت نظريته على اللّغة، فاعتبر أنّه واجب كل أديب ومفكر أن يكون عالما بلغته القومية وأن يعود إلى مصادرها الأولى، ولا شك أنّ نظريته هذه تعود لتاريخ ألمانيا التي ينقصها التماسك السياسي، وفقدت كل قاعدة جغرافية لها فلم يبقى لديه سوى اللغة كمقوم للقومية التي تُعبّر عن وحدة هذا الشعب وأصله[4].

الدراسات التي وضعها **هردر** يمكن اعتبارها دراسة تمهيدية **لهيجل** (1770، 1831م) ولم تقتصر تأثير دراساته وأسس القومية التي وضع **هيردر** أسسها على **هيجل** وحده بل ألهم

---

[1]- محمد قاسم وحسنى حسن، تاريخ القرن التاسع عشر، ط 6، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1999م، ص ص 135، 137.

[2]-جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ج 2، ط 1، دار التكوين للتأليف والترجمة، سوريا، 2010م، ص ص 635، 639.

[3]- يوهان هردر: كاتب وشاعر وفيلسوف ألماني، درس الطب، الفلسفة واللاهوت، دفع بالفلسفة من عقلية عصر الأنوار إلى العواطف، وهذا ما سمي **العاصفة وال.حف**، من أهم مؤلفاته: **أصل اللغات** 1772م، ينظر: قاسم وحسن، المرجع السابق، ص ص 140، 142.

[4]- حاطوم، المرجع السابق، ص ص 45، 53.

مفكرين آخرين أبرزهم **فختـه** (1761-1814م)، وقضى مثل هذا التأثير الذي تركه في المفكرين والألمان إلى تسمية بروسو الألمان[1].

إن كان **هردر** قد أمدّ القومية بنظرتها الأولى فانّ **هيجل Gearg Wilheml Friendich Hegl** (1770، 1831م) [2] لم يقف عند هذا التصور الذي رسمه **هردر**، بل دفع به على المثالية المطلقة، إذ أصبغ على الدولة صفة القداسة وادعى أنّها تنتمي إلى الروح، وجعل من الأمّة الألمانية أمة قومية سامية تعلو عن بقية الأمم، وأعلن عن نفوره من مبدأ **جاك روسو** فالنسبة له علاقة الدولة والشّعب علاقة سلطانية، فإرادة الافراد ليس لها أي سلطانية على الدولة، ويذهب **هيجل** في تمجيده للدولة:" إنّ قوانينها وتنظيماتها تُهيء الانسان للمشاركة في الحياة الأخلاقية العادلة"[3].

يواصل **هيجل** في نفس المنوال فيعرف الدولة على أنّها كيان قادر على وضع وقوانين خاصة به تلائم فلسفتها، دينـاها وثقافتها دون تدخل أيادي أجنبية، جعل **هيجل** الحرية والعاطفة تضم تسود الدولة، وأن تدخل أيادي أجنبية، جعل **هيجل** الحرية والعاطفة نظم تسود الدولة، وأن أعمال الناس في رحاب الدولة تقوم على الفكر وليس المادة كما دعا إليها **كارل ماركس**.

ولقد كان هذا التمجيد الذي دعا إليه **هيجل** وصاغه في فلسفته السياسية عن الدولة سبباً في اتهامه وتحميله مسؤولية اذكاء روح الغزو والعدوان التي برزت في ألمانيا التوسعية واشعالها فتيل الحرب العالمية الأولى، وكذا الحملات التي قادتها أوروبا على كل من بلدان إفريقيا لم تكن سوى نتيجة حتمية لما دعت إليه فلسفة **هيجل**[4].

---

[1]- توشار، المرجع السابق، ص 502.

[2]-هيجل: فيلسوف ألماني أحد مؤسسي المثالية ومطور النظام الجدلي من أهم ما تركه من مؤلفات: **علم ظهور العقل**، يُنظر: نصر، المرجع السابق، ص 95.

[3]- توشار، المرجع السابق، ص ص 75-80.

[4]- نصر، المرجع السابق، ص ص 128، 125.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ ألمانيا كغيرها من الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وإنجلترا، كان لها بالغ الأثر في عصر الأنوار وذلك من خلال النّتاج الفكري لفلاسفتها ومفكريها الذين قدموا مفاهيم جديدة للقومية في إطار محاولتهم لتوحيد ألمانيا التي تأخر توحيدها إلى غاية القرن التاسع عشر.

ويمكن القول أنّ الفكر الأوروبي تزعمته المبادئ التي أقرتها الثورة الفرنسية والاتجاه الاقتصادي الذي أقرته الثورة الصناعية في بريطانيا في المنتصف الثاني من القرن 18م، بالإضافة إلى نتاج الفلاسفة الألمان، ولم تبق هذه الأفكار حبيسة أوروبا بل تعدتها إلى باقي العالم وصولا إلى العالم العربي.

المبحث الثاني

منافذ الاتصال بين الشّرق والغرب

المطلب 01: التجربة التحديثية لإبراهيم باشا في بلاد الشّام

المطلب 02: الإرساليات التنصيرية وحركة الترجمة

أ-الارساليات التنصيرية

ب – حركة الترجمة

لم تتوفر للفكر العربي قبل القرن التاسع عشر فرصة لاكتشاف التقدم الأوروبي إلا من خلال الاحتكاك الحضاري الذي فرض نفسه، وأوجب انتقال الأفكار التنويرية الأوروبية إلى العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص بلاد الشّام حيث اتخذ هذا الاحتكاك عدة أشكال مختلفة.

المطلب 01: التجربة التحديثية لإبراهيم باشا في بلاد الشّام

شهدت بلاد الشّام ومصر العديد من الاحداث السياسية، كان أبرزها الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، إذ انطلقت من ميناء طولون في 12 ماي 1798م بقيادة نابليون بونابرت[1]، وصلت إلى سواحل الإسكندرية في 02 جويلية من نفس السنة، ولم تستغرق أكثر من ساعتين لتحكم قبضتها على المدينة، وقد دامت هذه الحملة ثلاث سنوات[2].

وفي السنة الموالية 1799م باشر نابليون الاستعداد لحملته على بلاد الشّام بغرض تأمين وحماية مستعمرته المصرية، وكذا حرمان الأسطول الإنجليزي من مراكز التموين في سواحل بلاد الشّام حسب ما أورده في التقرير الذي أرسله إلى حكومة الإدارة الفرنسية[3]، وفي

---

[1]– نابليون بونابرت: ولد عام 1769م في كورسيكا، تعلم في مسقط راسه ثم دخل مدرسة باريس البحرية سنة 1785م، ليتولى بعدها قيادة المدفعية عام 1794م، وفي سنة 1798م قاد الحملة على مصر وسوريا ما بين 1798م إلى 1801مأين أحدث العديد من الإصلاحات التي مسّت جميع الجوانب فإدارياً نقل مبادئ الثورة على غرار العدل والمساواة والديمقراطية ونظام الشورى ومبدأ الانتخاب، وذلك من خلال الدواوين التي كانت أول تجربة للمصريين، أمّا من الجانب الفكري أسس المُجمّع العلمي بالقاهرة سنة 1798م،الذي يعد الكتاب المعنون **بوصف مصر** من أبرز إسهاماته إلى جانب إدخاله المطبعة والصحافة حيث تعتبر **صحيفة الجوائب المصرية** و**العشرية المصرية** أولى الصحف التي عرفتها المنطقة، وبعد عودته من الحملة توج نفسه امبراطوراً على فرنسا، انظر: عبد الرحمان بن حسن الجبرتي، مظهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس، تق: عبد الرزاق موسى، ج 2، ط 1، العربي للنشر والتوزيع ،القاهرة، 1998م، ص ص 299،298، ويُنظر أيضاً: فاطمة الزهراء رحماني، حركة التحديث في مصر وتونس خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 2019–2020، ص16.

[2]– دعاء عبد الهادي، القناصل الفرنسيين ودورهم السياسي في مصر 1805–1879م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بابل، العراق، 2016م، ص41.

[3]–مصطفى عبيد، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعتي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر،2013–2014م، ص24.

نفس الوقت شرع أحمد الجزار والي عكا[1] في تحصين كل من عكا وحيفا ويافا بعد تلقيه الأوامر من السلطان العثماني في التصدي للفرنسيين[2].

قرّر نابليون أن يزحف إلى بلاد الشّام ليهاجمها براً بينما تهاجم سفنه المدن الساحلية ونتيجة الأسلحة المتطورة وقوة المدفعية لم تتمكن مدن بلاد الشّام من الصمود طويلا، رغم سبالة أهلها في الدفاع عنها لتسقط تباعاً، العريش في 20فبراير 1799م وغزّة في 4 مارس ويافا في 17 مارس من نفس السنة، لكن سلسلة انتصاراته لم تكتمل بعد فشله في فرض الحصار على مدينة عكا حيث كانت أسوارها وطبيعتها الجغرافية من المعوقات التي واجهت نابليون، بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في أوساط جنوده نتيجة مرض الطاعون، مما جعله يعدل عن قراره في احتلال سوريا ويعود إلى مصر[3].

سمحت الحملة الفرنسية أكثر من غيرها من الروافد بتسرب المؤثرات الغربية إلى الفكر العربي، وقد كانت أعمالها بمصر الأسس التي قامت عليها التغيرات الجذرية التي ستعرفها وبلاد الشّام، رغم أنّ هذه الأخيرة لم تساهم الحملة في احداث هزة فكرية أو اجتماعية بها لانّ نابليون فشل في احتلالها ولم يحصل أن طبق فيها ما كان في مصر، إلا أنّ تأثيراتها انطلقت من مصر نحو بلاد الشّام بفعل الحملة التي قادها إبراهيم باشا على المنطقة–الشّام– سنة 1832م ومن ثما باقي الولايات العربية في القرن التاسع عشر[4].

بعد جلاء الحملة الفرنسية من مصر تطبيقاً لمعاهدة أميان في 28 مارس 1802م Amiensعمت الفوضى البلاد حيث تأجج الصراع بين القوى السياسية واشتد اوراه

---

[1]– عينت الدولة العثمانية أحمد باشا الجزار والياً على الشام سنة 1798م بعد عزل عبد الله باشا من إيالة الشّام، كمحاولة لتهدئة الاضطرابات في المنطقة، انظر: أحمد زكريا الشلق، الحداثة والامبريالية، ط 1، دار الشروق، مصر،2006م، ص ص 48، 49.

[2]– يحي جلال، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965م، ص 91.

[3]– جي فارجيت، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، تر: محمد رفعت جواد، ط 1، المجلس الأعلى الثقافة، القاهرة،2003م، ص20.

[4]–خليدة بليدي، الحملة الفرنسية على مصر والجزائر (1798–1830م)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر02 ، بوزريعة، 2011م، ص 130.

لوراثة الحكم في مصر، وكنتيجة حتمية للاحتكاك بالحملة الفرنسية وما خلفته، شهدت مصر نخبة وطنية ممثلة بأعيان المنطقة وشيوخها والتي حاولت أن تأخذ بمقاليد الأمور بيدها لكن كونها قيادة مدنية عاجزة عن صد الأخطار العسكرية أدى ذلك بها إلى أن ترضخ لمحمد علي باشا[1].

بعد تملك محمد علي السلطة في مصر ونجاح ما كان يصبو إليه تأسيس دولته الحديثة، شرع في توسيع دائرة حكمه فكانت قبلته بلاد الشّام نظراً لموقعها الجغرافي وكثرة خيراتها، حيث رأى منها صدا لاحتياجات مشاريعه العسكرية[2] كما كانت بمثابة حاجز منيع بينه وبين الدولة العثمانية مما يوفر له حماية عاصمته[3].

كانت بلاد الشّام ملتقى القوافل التجارية وطريق الحجاج، بالإضافة إلى طبيعة أهلها ما جعلهم مناسبين للتجنيد، زيادة على ذلك خصوبة تربتها واحتوائها على الأخشاب والفحم والنحاس الذي لم تتوفر في مصر[4].

هذه الأسباب مجتمعة جعلت إبراهيم باشا ينطلق في حملة على بلاد الشّام في 01 نوفمبر 1831م بإيجاز من والده، براً وبحراً ونتيجة الضعف والاضطرابات التي كانت تشدها المنطقة تمكنت الحملة من دخول التخوم الشامية فضمت غزّة ويافا سنة 1832م وحمص ودمشق وحلب سنة 1832م، وفي نفس السنة حاصرت عكا حتى تمكنت من ضمها[5].

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516–1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص ص 300، 301.

[2]– فيصل الشلبي، بلاد الشّام في ظل الدولة المملوكية الثانية، ط 1، دار الزمار، دمشق، 2008م، ص ص 71،72.

[3]– الأمير طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي، مطبعة صلاح الدين، الإسكندرية، 1934م، ص ص 25،30.

[4]–على العفيفي علي الغازي، الصراع المصري العثماني والتوازن الدولي في ثلاثينيات القرن 19م، ط 1، قنديل للطباعة والنشر، الامارات،2007م، ص ص 31،34.

[5]– لمزيد من التفاصيل حول سير الحملة لبلاد الشام، انظر: محمد صبري، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية، تر: ناجي رمضان، نق: أحمد زكريا الشلق، ج 2، ط 2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012م، ص ص 289،330.

وكان من أول اعمال إبراهيم باشا في الديار الشّامية تطبيق مفاهيم الإدارة الحديثة التي نقلها من مصر وذلك من خلال إلغاء التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة، وإقامة نظام إداري جديد حيث قسمت البلاد إلى المديريات التالية: دمشق، حلب، وطرابلس، أضنة وأطلق عليها عربستان[1].

وقد تميز هذا النظام الجديد بإقامة مجالس على غرار مجالس والده في مصر الذي يبدوا أنّه كان متأثراً بالنمط الأوروبي التمثيلي الذي طبقه نابليون بونابرت في مصر حين أنشا الدواوين[2]، وكان هدفه من وراء هذا إيجاد سلطة مدنية حيث أتاح للأهالي بالمشاركة في الحكم وممارسة الديمقراطية، فأقام بذلك الحوائل دون الحكم المطلق كما ساهم في تفويض الأنظمة الاقطاعية[3].

أولت الإدارة المصرية الجانب العلمي والثقافي في بلاد الشّام اهتماماً واسعاً، حيث حملت منظومتها التعليمية التي أوجدتها في مصر ونقلتها إلى بلاد الشّام، فكانت جهودها في هذا المجال بمثابة اللّبنة الأساسية التي قامت عليها النهضة التعليمية الحديثة[4].

عملت على تعميم المدارس أو ما كان يعرف بالكتاتيب في أرجاء الديار الشّامية لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، كما وضعت سنة 1835م خطة خاصة بإنشاء كليات حكومية على غرار الكلية الحرفية في دمشق، وكان خريجو هذه المدارس المتفوقين يرسلون في بعثات علمية إلى القاهرة وأوروبا[5].

وزيادة على ذلك ساهم إبراهيم باشا في نقل المطبعة والكتب المطبوعة لبلاد الشّام، رغم أنّ المطابع كانت موجودة في الأديرة، إلا أنّها اقتصرت على الكتب الدينية، وقام بسد

---

[1]– ليندا تشيلر، دمشق في القرنين 18و19م، تر: عمرو ملاح، ط 1، دار الجمهورية، دمشق، 1998م، ص ص 59، 63.

[2]– محمد علي كرد، خطط الشام، ج 3، ط 2، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ص 67.

[3] –Nopier ,Commode pirchorles, The war in Syria, London, 1842 ,p95.

[4]– أمين عبد الله محمود، الإدارة المصرية في بلاد الشّام وبداية ظهور المسألة الفلسطينية (1836–1840م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج 8، ع 32، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1988 م، ص ص 115، 117.

[5] –Perrier ferdandinard, La Syrie sous les Gouverment de Mehemet ali, Paris,1840,P 127.

النقص في الكتب المطبوعة من خلال استيرادها من مصر حيث كانت تُرسل قوائم بعناوين وأعداد الكتب المطلوبة إلى ديوان المدارس في مصر لتطبع ويعاد ارسالها إلى الولايات الشّامية[1]

وإلى جانب ازدهار الحركة التعلمية في عهده ازدهرت التجارة والزراعة، حيث اتخذ العديد من الإجراءات لتحسين وضعية الفلاحين على غرار تحديد مقدار الضرائب التي يتم جبايتها وإلغاء التعسفية منها[2].

أمّا فيما يخص الجانب الاجتماعي أقرّ إبراهيم باشا مبدأ المساواة في الدين وأمام القانون بين جميع الطوائف والمذاهب فمنحت العديد من الحريات والحقوق لغير المسلمين والتي كانت قد مُنعت في ظل الحكم العثماني، فتقلدوا العديد من المناصب والوظائف الحكومية، كما ألغيت الضرائب المفروضة عليهم عند الحج إلى القدس، وتم اعفائهم من التجنيد الاجباري مقابل دفع الخراج[3].

وقد كان لهذه السياسة العلمانية دور كبير في جعل بلاد الشّام بداية من منتصف القرن التاسع عشر ميلادي مقصداً للإرساليات التنصيرية البروتستانتية والكاثوليكية والارثوذكسية[4].

وفي الأخير نخلص إلى أنّ الحكم المصري ببلاد الشّام بنى جسر التواصل مع أوروبا وساهم في نقل أفكار التنويرية للدّيار الشامية، وبالتالي بزغ فجر النهضة في المنطقة.

---

[1]– كندة السمارة، "التحولات الفكرية والتعلمية في دمشق ودورها في التمدن الجديد"، **مجلة الفنون والأدب وعلوم الانسانيات**، ع 21، د م، 2018م، ص ص 128،127.

[2]– هدى بلال، "الصراع العثماني المصري على بلاد الشذام والموقف الدولي منه"، **مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية**، مج 1، ع 3، جامعة الموصل، العراق، 2011م، ص349.

[3]– كندة سمارة، المرجع السابق، ص 132.

[4]– نفسه، ص 133.

المطلب 02: الارساليات التنصيرية وحركة الترجمة

أ-الارساليات التنصيرية:

كنتيجة للتسامح الديني الذي ميّز سياسة الدولة العثمانية مع الطوائف المسيحية واليهودية، وفدت العديد من الارساليات التنصيرية[1] البروتستنتية والارثوذكسية والكاثوليكية إلى بلاد الشّام، وذلك بداية من القرن السابع عشر.

وقد عرفت هذه الإرساليات نشاطاً واسعاً خلال القرن التاسع عشر بعد قدوم الحكم المصري سنة 1831م، وتطبيقه سياسة التسامح والمساواة بين الطوائف الدينية، ورغم عودة الحكم العثماني للديار الشّامية سنة 1842م وحرص الدولة العثمانية على وضع نشاط هذه الطوائف في قوالب محدّدة ، إلا أنّها اضطرت لصرف النظر عن الخطر المتزايد وراء نشاط هذه الارساليات لما كانت تعانيه من ضعف ووهن في تلك الفترة[2]، الأمر الذي سمح لها -الارساليات- بأن تتمتع بحرية تامة وكيان مستقر فتضاعف عدد الأديرة والكنائس التي تركزت في بيروت لاحتوائها على نسبة عالية من المسيحيين ، ثم انتقلت لتشمل بعد ذلك باقي المدن الشّامية، ويمكن الإشارة إلى أبرز الارساليات الأجنبية على النحو الآتي[3] :

الارساليات الكاثوليكية:

هي أولى وأقدم الارساليات التنصيرية التي وفدت إلى بلاد الشّام، من خلال اتصالات اليسوعيين بالمنطقة والتي تعود إلى سنة 1625م، تفرقوا بين اقطار الشرق وشيّدوا الاديرة في كل حلب سنة 1625م، صيدا سنة 1644م، وطرابلس سنة 1654م، وبعد الغاء رهبانيتهم من قبل البابا سنة 1773م، عاودوا النشاط مجدداً سنة 1831م فبلغوا دمشق

---

[1]- الارساليات التنصيرية: نشأت الارساليات منذ الحروب الصليبية، وكان الرهبان والمستشرقين هم المحركين لها، وتعود فكرة تأسيسها لريموند لل وفرنس الأسيسي تهدف لنشر وتعليم الدين النصراني في العالم أجمع وخاصة بين المسلمين وحتى بين الأتباع المخالفين لمذهب البعثة من أتباع الديانة المسيحية نفسها، انظر: عبد الرزاق الرزاق عيسى، التنصير الأمريكي في بلاد الشّام (1894-1914م)، ط 1، العربية للطباعة، القاهرة، 2005م، ص ص 18-20.

[2]- مصطفى خالدي وعمر فزوخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط 1، المكتبة العلمية، بيروت، 1953م، ص40.

[3]- الياسوعيين: اكتسبوا اسمهم من الجمعية التي ينتسبون إليها وهي جمعية يسوع -جمعية دينية كاثوليكية تم انشاؤها سنة 1534م، على يد أفلاطوس ليولا الاسباني، ينظر: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، المرجع السابق، ص ص 25، 30.

والقاهرة، وما ساعدهم على ذلك الدعم الذي تلقوه من الأمراء المعنيين والشهابيين في بلاد الشّام[1].

أمّا فيما يتعلق بالنشاط الكاثوليكي في فلسطين والأردن فقد سبقت فرنسا غيرها من الدول الغربية في هذا المجال[2]، فمنح الرهبان الفرنسيسكان[3] الحرية لممارسة نشاطهم التنصيري بعد حصولها على امتياز عام 1535م، لحماية المسيحيين في الأماكن المقدسة.

الارساليات البروتستانتية:

يعود نشاطها في بلاد الشّام إلى عام 1820م، عملت على تحويل الكاثوليك والأرثوذكس إلى البروتستانتية لعدم وجود أتباع لها في المنطقة، حيث نقلت مركز عملها من مالطة إلى بيروت أين لعبت **كارينلوس فان ديك** الأمريكية[4] عام 1840م دوراً بارزا في زيادة أتباعها وتوسيع نشاطها من خلال انشاء المدارس والأديرة[5].

وفيما يتعلق بالنشاط البروتستنتي في القدس، استقرت أولى الارساليات الامريكية بمجيئ " جون نيكولاس" John Nicolason سنة 1833م، أمّا الارساليات البروتستنتية

---

[1]– عبد العزيز علي بن صالح الحويتي، دراسة تحليلية لمجلس الآباء الياسوعيين الكاثوليكية، رسالة ماجيستير في تاريخ الحديث والمعاصر، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة طيبة، السعودية، د ت، ص ص 2، 3.

[2]– فتيحة علواش، الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 2013–2014م، ص 482.

[3]– الفرنسيسكان: من أشهر المدارس التبشيرية التي كانت بدايتها في أوائل القرن الثالث عشر، تنسب إلى مؤسسها فرنسيس الأسيزي(1181–1226م)، في بدايتها عرفت بـــ" الاخوة الصغار"، وفي عام 1220م حصلوا على تأييد البابا بروما فكبرت الجماعة وكثر أتباعها، ينظر: علواش، المرجع نفسه، ص 83.

[4]– كارينلوس فان ديك: ولد سنة 1818م بنيويورك، عالم رياضيات ولغات شغل منصب أستاذ علم فلك في الكلية الانجيلية الامريكية ببيروت، وكان له دور بارز في التنصير وبناء المدارس الامريكية، كما لعب دور أكبر في تنشيط حركة التأليف والترجمة، ينظر: عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، المرجع السابق، ص 213.

[5]–نفسه، ص 214.

البريطانية فقد انتشرت في القدس وسورية والأردن وانشات جمعية(C.M.S) **The church Hissionory society** والجمعية اليهودية اللندنية (L.J.S) لنشر المسيحية بين اليهود[1].

الارساليات الارثوذكسية:

أتاحت اتفاقية كوتشك قنارجة التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية عام 1774م الفرصة لبدء النشاط التنصيري الأرثوذكسي في القدس، فأنشأت أول قنصلية بفلسطين سنة 1820م، ثم نقلت إلى بيروت سنة 1839م، وفي عام 1840م افتتحت أول قنصلية بالقدس.

ورغم أنّ روسيا قامت بإيفاد العديد من البعثات إلى فلسطين على غرار بعثة 1843م و1847م وكذلك بعثة سنة 1848م إلّا أنّها لم تلق رواجاً كبيراً نتيجة لتوسع الدعاية الكاثوليكية والبروتستانتية المعادية للأرثوذكسية واشتغال هذه الأخيرة _روسيا_ بحرب القرم سنة (1853-1856م)[2].

ويمكن القول أنّ النشاط التنصيري الأرثوذكسي الفعلي كان بداية من مطلع القرن التاسع عشر، بعد تحسن الوضعية الدبلوماسية الروسية في الساحة الدولية عقب مؤتمر بارلين 1878م الذي سمح بزيادة نشاطها في الدولة العثمانية[3].

ولابد من الإشارة إلى أنّ الارساليات التنصيرية لم يكن هدفها الأول نشر الديانة المسيحية بقدر ما عملت على صبغة التوجه الفكري لبلاد الشّام صبغة أوروبية[4]، ويتجلى ذلك من خلال النخبة التي كونتها في مدارسها فبقدر ما كانت وطنية وقومية في البداية بقدر

---

[1]- فدوى نصيرات، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009م، ص ص 66، 67.

[2] -Harold cook, High ltighlison christian Mission,Fourth Edition,MODY press ,chicogo,1972, p107.

[3]- يسرى محمد الهادي حنفي، الارساليات الأجنبية إلى بلاد الشّام، رسالة ماجيستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، السعودية، 1996م، ص ص 129، 132.

[4] -Samuel Willsen, Mission hand book North American Protestant Ministries Overseas, 12Th Edition, California , 1980, p80.

ما ابتعدت عن حضارتها وغلب عليها الطابع الغربي، فمجدت أوروبا ونظمها، هذا الذي سهل على الارساليات فرض الهيمنة الاستعمارية السياسية والاقتصادية ولتحقيق ذلك استخدمت العديد من الوسائل كالمستشفيات والمدارس والمطابع والصحف[1].

أمّا فيما يخص الجانب الصحي والمستشفيات، فقد اشتد التنافس بين الكاثوليك والبروتستانت في هذا المجال، خاصة بعد انتشار الأمراض الوبائية كالـكوليرا والطاعون فتم انشاء العديد من دور الرعاية على غرار تلك التي أنشأتها أمريـكا سنة 1858م ببيروت والتي كانت بمثابة الستار للعمل التنصيري، كون الطبيب قادر للوصول لكافة فئات المجتمع، حسب ما جاء في قول الطيب **المنصر بول هاريون** في كتابه الطبيب في بلاد العرب " لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى[2].

أمّا بالنسبة للمدارس والصحافة والطباعة فسنتناولها بالتفصيل في المبحث الموالي.

وفي مجمل القول الارساليات التنصيرية التي وفدت إلى بلاد الشّام بداية من القرن السابع عشر، وتوسع نشاطها خلال القرن التاسع عشر بفعل سياسة التسامح الديني التي طبقتها كل من الدولة العثمانية، والحكم المصري في الديار الشّامية كانت مؤثراً فعّالاً في التحولات الفكرية بالمنطقة، كما كان لها الدور الأساسي في نقل الحضارة الغربية وآدابها إلى العالم العربي عن طريق لبنان وبلاد الشّام عموماً.

[1]– الحويتي، المرجع السابق، ص ص 125، 134.

[2]– الحنفي، المرجع السابق، ص ص 175، 178.

ب-الترجمة:

تعد الترجمة أداة لنقل العلوم والمعارف والثقافات والعادات والتقاليد من لغة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر، لذا كان لها الدور الأبرز في عملية التواصل الحضاري واقتباس الحضارات من بعضها البعض، ومن ثما فك عزلتها وتطورها، ونظراً لما تكتسيه هذه الأخيرة من أهمية كانت بداية عهدها في بلاد الشّام مبكرة حيث تعود إلى القرن السابع عشر، بفضل الطوائف المسيحية التي أتقنت اللّغات القديمة والحديثة ، وممن تزعموا هذه الحركة نذكر القس بن القس **جرجين الحلبي**(ت1713م) وكذلك **نصر الله بن فتح الله بن بشارة الطـــرابلسي**(1770- 1840م) إلا أنّ نشاطهم انحصر في ترجمة الكتب الدينية إلى اللّغة العربية، فترجمت العديد من كتب الدّين من عدة لغات إلى العربية أو منها إلى اللاتينية[1].

ومع مطلع القرن التاسع عشر ازدهرت حركة الترجمة في بلاد الشام نتيجة الحركة التي قامت بمصر تزامناً مع نشأة الدولة الحديثة **لمحمد علي باشا**، الذي عمل على انشاء مدارس الترجمة على غرار **مدرسة الألسن** عام 1835م[2]، التي حرص على ايفائها بالمؤطرين من خلال البعثات العلمية إلى مختلف دول أوروبا فبرز من بينهم **رضا رفاعة الطهطاوي(1804- 1874م)**[3] الذي تولى إدارة المدرسة، وساهم وأشرف إلى جانب العديد من الشّوام المسيحيين أمثال عبود **الصباغ وأنطون رفاييل** على ترجمته أكثر من 2000 كتاب شملت مختلف العلوم، والتي تم نقلها إلى بلاد الشّام عن طريق حملة إبراهيم باشا[4].

---

[1]- علي بودربالة، الترجمة ودورها في فكر النهضة العربية الحديثة، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 20، ع 1، جامعة الجزائر 02، الجزائر، بوزريعة، 2020م، ص ص 2، 3.

[2]-جمال الدين شلبي، تاريخ الترجمة في مصر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2000م، ص ص 66، 80.

[3]-رضا رفاعة الطهطاوي: من قادة النهضة العلمية بمصر في عهد محمد عاي كان ضمن البعثة العلمية المتوجهة إلى باريس 1826م، من أهم أعماله: **تخليص الابريز في تلخيص باريز**، هو مؤسس مدرسة الألسن، ينظر، أنور الجندي، مفكرون وأُدباء وآثارهم، ط 1ن دار الارشاد، بيروت، 1969م، ص 107.

[4]- أنطون رفاييل: أسرته من طائفة الروم الكاثوليك، ولد سنة 1753م، تلقى تعليمه في إيطاليا وبعد عودته إلى صيدا سنة 1781 اشتغل بترجمة الكتب الدينية في دير طائفته، للمزيد أنظر: جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دار الفكر العربي، مصر، 1951م، ص ص 39، 42.

زيادة على ذلك لعبت الارساليات التنصيرية دورا مهماً في تنشيط وتوجيه حركة الترجمة في بلاد الشّام، وذلك من خلال ترجمات الكلية الامريكية التي توجهت في بدايتها إلى ترجمة الكتب الدينية ككتاب رحلة **روبنصن كروز** التي تتناول قصة اليهود في مصر وخروجهم، وكذا **كتاب أصداء التوراة** الذي عمل على ترسيخ نفس الفكرة السابقة إلى جانب **الكتاب المقدس**، ثم توسعت بعد ذلك لتشمل الكتب العلمية في الطب والفلك والرياضيات، ككتاب **مبادئ وقوانين التشريع** و**كتاب روح القوانين لمونتيسكيو**، ومن أشهر هؤلاء **كارينلوس فانديك** وجورج بوست ، وجاء من بعدهم مجموعة من تلاميذهم ساروا على نفس النهج **كـــناصيف اليازجي**[1] **وبطرس البستاني**[2] و**احمد فارس الشدياق**[3]، أضف إلى ذلك ما ساهمت به البعثات العلمية في إثراء الرصيد اللغوي لهؤلاء .

اتاحت هذه الترجمات لبلاد الشام التعرف على أوروبا وحضارتها، كما ساهمت في تيسير عبور المؤثرات الغربية للاستفادة منها في تطوير الفكر العربي، ومن هنا كان لها دور بارز في النهضة الفكرية في المنطقة.

---

[1]- ناصف اليازجي (1800-1879م): ولد في قرية لبنانية صغيرة من اسرة مسيحية، تلقى دروسه الأولى في القرية ثم انتقل للأديرة بحثاً عن المعرفة، استعان به المرسلون الأمريكيون في اصدار الكتب التي تبحث في علوم اللّغة، كما ألف كتبا في علوم القواعد والمنطق والخطابة للمدارس الأمريكية ويعد أحد رواد النهضة العربية، ينظر: جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011م، ص ص 25، 30.

[2]- بطرس البستاني (1819-1883م): عربي مسيحي من قرية لبنانية، تلقى تعليما حسنا وتعلم لغات مختلفة إلى جانب العربية، أسس المدرسة الوطنية عام 1863م، وألف مايلزم من الكتب المدرسية ونشر محيط المحيط وهو قاموس للفيروز أبادي، أصدر مجلة الجنان التي دعت إلى الوحدة العثمانية كما ساهم في ترجمة العديد من الكتب بالتعاون مع مرسلي البروتستانت الامريكان، ينظر: نفسه، ص ص30، 35.

[3]- أحمد فارس الشدياق (1804-1887م): من عائلة مارونية عريقة، تلقى علومه الأولى في مدرسة عين ورقة، التجأ إلى مصر ثم مالطة ثم لندن، وعمل في الترجمة والصحافة، وزار تونس حيث اعتنق فيها الإسلام وتسمى بأحمد، ثم استقر بالأستانة أين صدر جريدة الجوانب عام 1860م، ويعد من أبرز رواد النهضة العربية الحديثة، ينظر: نفسه، ص ص 40، 45.

البعثات العلمية:

تعد البعثات العلمية من اهم العوامل التي سهلت الاحتكاك بين العرب وحضارة الغرب، حيث شكلت قناة لاستكشاف أوروبا وأنظمتها وفنونها وعلومها، وتكون بتكليف من ولاة الأمور أو هيئة علمية[1].

ولقد ازدادت أهمية البعثات العلمية في القرن التاسع عشر، وبالذّات بعد الحملة الفرنسية في مطلع القرن السالف الذكر، ومع تجربة محمد علي باشا وكذا انتشار المدارس التنصيرية.

ولابد من الإشارة إلى أنّ البعثات كانت مصرية بالدرجة الأولى، وقد استطاعت بلاد الشذام الإفادة منها من خلال الشّوام الذين كانوا ضمنها وعادوا إلى بلادهم محملين بمؤلفات هي نتاج ما شهدوه ودونوه، كما عملت الارساليات التنصيرية على ايفاء عدد من البعثات إلى مختلف الدول الأوروبية وقد كان جل أعضائها من المسيحيين العرب حيث ساهمت في تعريفهم بنتاج النهضة الأوروبية واسس التقدم فيها ، مما جعلهم مروجين للإصلاح وحركة النهضة في بلادهم، فكان لهم الدور الأكبر في ادخال الأفكار والمبادئ الجديدة مثل الوطنية، القومية وحقوق المرأة والتي كانت منطلقات لتشكيل اتجاهات فكرية مختلفة ستتضح أكثر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر [2] .

ومن أبرز هؤلاء، **أحمد فارس الشدياق** الذي كان موفدا للبعثة الأمريكية إلى مالطة عام 1839م، أين تولى تعليم اللغة العربية، كما تولى إدارة المطبعة الأمريكية ومكث هنالك حتى عام 1848م، وقد دون مشاهداته وانطباعاته في كتاب **الواسطة في معرفة أحوال مالطة** ووضع كتاب آخر وصف فيه رحلاته الأوروبيةوهو **كشف المخبأ عن فنون أوروبا**[3].

---

[1]– فاطمة الزهراء رحماني، "الرحلة أداة تواصل بين العرب والغرب الأوروبي خلال القرن 19م"، **مجلة دراسات وابحاث**، مج 10، ع 4، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2018م، ص 69.

[2]– علواش، المرجع السابق، ص ص 82، 85.

[3]– حسين مجيدي وفاطمة شركابي،" دراس وتطور النقل الأدبي في البلدان العربية في القرن 19م"، **مجلة بحوث ودراسات**، د م، ع 502، د م، د ت، ص 75.

وبذلك تكون الرحلات العلمية إلى جانب منافذ الاتصال الأخرى كالترجمة والارساليات التبشيرية والتجربة التحديثية التي قادها إبراهيم باشا في بلاد الشّام قد ساهمت في نقل المؤثرات الغربية إلى البلاد العربية، حيث كان لهذه الأخيرة تأثيراً واضحاً في التحولات الفكرية التي عرفتها بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر.

المبحث الثالث

مظاهر ونتائج تأثير الفكر الأوروبي

على بلاد الشّام

المطلب 01: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في ميدان التعليم

أ- في عهد إبراهيم باشا

ب- في عهد الدولة العثمانية

1-المدارس الرسمية

2-المدارس الخاصة

المطلب 02: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في مجال الطباعة والصحافة والجمعيات الأدبية والعلمية

أ-الطباعة

ب-الصحافة

ج- الجمعيات الأدبية والعلمية

المطلب 03: نتائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام

أ- النهضة العربية الحديثة

ب- الحركة القومية العربية

عرفت بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر انفتاحاً على الحضارة الغربية وعلومها ونظمها في كافة الميادين السياسية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بفضل الحكم المصري للمنطقة سنة 1832م، وكذا انفتاح الدولة العثمانية هي الأخرى على هذه الحضارة، ما سهل انتقال المؤثرات الأوروبية التي كان لها التأثير البالغ على كافة مناحي الحياة العربية عامة وبلاد الشّام خاصة، بالأخص ما تعلق بالجانب الفكري والثقافي.

المطلب 01: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في ميدان التعليم.

أ- في عهد إبراهيم باشا:

تميزت الأنظمة العثمانية الإدارية في بلاد الشّام بالسطحية، حيث كانت امتداداً لأنظمة الحكم المملوكي السابق لها، اذ لم تقم بأي تغيير أو تحديث ومن النظم التي مستها هذه السياسة النظام التعليمي[1]، فمنذ دخول العثمانيين لبلاد الشّام خلال القرن السادس عشر وإلى غاية منتصف القرن التاسع عشر ضلت المؤسسات التعليمية التقليدية محافظة على تقاليدها وطرق تدريسها التي تميزت بها قبل العهد العثماني، وزاولت نشاطها بمعزل عن أي إشراف رسمي من السلطة العثمانية التي لم يكن من مهامها الانفاق على التعليم الذي ظل يعتمد على تبرعات الأهالي وما يضع المحسنون من أوقاف لتغطية نفقاته وعهد به إلى الأشخاص والمؤسسات المحلية، واقتصرت مؤسساته على الكتاتيب والمدارس الدينية[2].

امتاز التعليم في هذه الفترة بكونه تعليما دينياً اتسم بالبدائية، وتجلى ذلك من خلال إتباع طريقة الحفظ والاستظهار في التدريس، وكذا عدم الخضوع لأي نظام او ترتيب وعدم

[1]- محمد أمين، تاريخ الدولة العثمانية في المشرق العربي (1504- 1914م)، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ، د ت، ص ص 222، 223.

[2]- علواش، المرجع السابق، ص174.

احترام القواعد الصحية[1].

تغيرت الحالة التعلمية في بلاد الشّام مع قدوم الحكم المصري (1831-1841م) الذي جاء محملا بالأفكار التقدمية والنهضة الكبيرة التي كانت في مصر، وانتقلت لبلاد الشّام حيث عملت على تحديث المؤسسات التعليمية وفق النمط الأوروبي، فأنشئت مدارس حكومية عصرية في المدن الرئيسية الكبرى وفق النظام المتبع في مصر وذلك بداية من عام 1835م[2] لسد حاجة الإدارة المصرية إلى مجندين وضباط محليين متعلمين، وفي سنة 1836م اتجه إبراهيم باشا لإقامة عدد من المدارس العسكرية الابتدائية والثانوية، والتي ركزت اهتمامها على العلوم العسكرية والعلوم العصرية الأخرى كـالرياضيات والفيزياء، ومن أبرز هذه المدارس مدرسة حلب ومدرسة دمشق النظامية[3].

زيادة على ذلك انصب اهتمام الادارة المصرية على ارسال الطلبة المتفوقين في بعثات علمية إلى القاهرة لدراسة الطب والزراعة والهندسة، وقد ساهم هؤلاء في انشاء مدارس الطب والهندسة في بلاد الشّام بداية من سنة 1837م[4].

وبهذا يرجع الفضل **لإبراهيم باشا** بالدرجة الأولى في ادخال نظام التعليم الحديث ومن ثما اجراء نهضة تعليمية في بلاد الشّام استمرت حتى بعد جلاء الجيش المصري سنة 1841م[5].

---

[1]- رائد نعمان سعد، الفكر التربوي في بلاد الشام في عصر النهضة، رسالة ماجيستير في التربية، قسم التربية، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا، 2013-2014م، ص59.

[2]- علواش، المرجع السابق، ص 178.

[3]- يوسف جميل نعيمة، مجتمع مدينة دمشق في الفترة مابين 1756و 1840، ج 2، ط 1، طلاس للدراسات والترجمة 1986، ص ص 384، 385.

[4]- نعمان قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، د د، بيروت،1879، ص ص 152، 156.

[5]- عائشة الدباغ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن 19م ومطلع القرن 20م، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1972، ص ص 100، 105.

ومما ساعد على اكتمال النهضة التعليمية في بلاد الشّام النشاط الذي مارسه الأجانب في مجال التعليم في ظل الإدارة المصرية، حيث سمح للإرساليات الأجنبية بتأسيس مدارسها الخاصة، فأوجد الأرثوذكس اليونانيون مدرسة أولية في دمشق، وكان هناك مثلها في بيروت والقدس، كما تم انشاء مدرسة بحلب سنة 1800م[1].

أمّا الياسوعيون فقد أنشأوا العديد من المدارس من أهمها **مدرسة عينطورة** سنة 1834م ومدرسة عين ورقة **ومدرسة عزير** بلبنان سنة1847م، وعلى نفس النهج قامت الإرساليات الأمريكية البروتستانتية بإنشاء مدار في كل من صيدا وطرابلس سنة 1832م إلى جانب **مدرسة عبية** بلبنان سنة 1847م **ومدرسة بيروت** سنة 1848م[2].

أولت الارساليات الأجنبية تعليم المرأة أهمية كبيرة لما لها من دور في تربية النشئ وتكوينهم، فتم تأسيس العديد من مدارس الاناث، كانت أولها المدرسة التي أسستها زوجة عالي سميث **Ali Smith** عام 1835م[3]، وبعد هذه التجربة شهدت بلاد الشّام تطورا كبيرا في افتتاح مدارس الاناث بعد أن كانت تهمل تعليم المرأة اهمالا يكاد يكون شاملاً، ومن أهم هذه المدارس المدرسة الانجيلية الداخلية للبنات ومدرسة الراهبات العازارية[4].

عرف نشاط الارساليات ازدياداً ملحوظاً ابتداء من سنة 1856م، على إثر صدور خط همايون الذي ضمن لها حرية التصرف في المؤسسات التابعة لها، فتوجت أعمالها في ميدان التربية والتعليم بإنشاء الكليات على غرار الكلية السورية البروتستانتية في بيروت سنة 1866م، وهي نواة الجامعة الامريكية الموجودة حالياً[5].

---

[1]– عبد الكريم اليافي، التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، مجلة التراث العربي، مج 12، ع45، اتحاد الكتاب العرب، د م، 1997، ص25.

[2]– اليافي، المرجع نفسه، ص 26.

[3]– عيسى، المرجع السابق، ص ص 115، 116.

[4]– سعد، المرجع السابق، ص 77.

[5]–سعد، المرجع السابق، ص78.

أثار هذا الاتساع البروتستانتي البعثات الكاثوليكية فنهض الياسوعيون ونقلوا كليتهم التي أنشأوها في عزير إلى بيروت سنة 1874م، وأطلق عليها جامعة القديس يوسف[1].

تميزت المؤسسات التعليمية التي اقامتها الارساليات التنصيرية بحملها لنموذج بلادها التعليمي، فقد اعتمدت المناهج الأوروبية وركزت على العلوم العصرية الرياضيات والتاريخ والفيزياء...الخ، يضاف إليها الموسيقى والخياطة والرسم في مدارس الاناث.

وكانت الصفة البارزة لهذه المؤسسات اهتمامها باللغة العربية وذلك من أجل اجتذاب أبناء الشعب من جهة وليسهل التأثير عليهم من جهة أخرى، كما اهتمت بنشر لغاتها الاصلية الغربية، فالمدارس الفرنسية اهتمت بنشر اللغة الفرنسية، والمدارس الإنجليزية بتدريس اللغة الإنجليزية وهكذا[2].

وعلى الرغم مما أحدثته هذه المدارس من إحياء للنعرات الطائفية والقومية إلا أنّها أدت الدور الأكبر في النهض العلمية في بلاد الشّام حيث تفوقت على مثيلاتها في تلك الفترة بفضل اعتمادها على طرق التدريس الحديثة وكذا امكانياتها المادية الكبيرة نتيجة الدعم الذي كانت تتلقاه من الدول الأجنبية[3].

ب-في عهد الدولة العثمانية:

كانت بلاد الشّام أرضاً خصبة لمشاريع الإرساليات الأجنبية حيث سيطرت على منابعها الثقافية، وفي محاولة من الدولة العثمانية للتصدي لهذا الغزو الفكري الأوروبي من جهة وإنقاذ السلطة العثمانية من جهة أخرى من الانهيار وخاصة بعد تكرار الهزائم أمام

[1]- اليافي، المرجع السابق، ص ص 26، 27.

[2]- عبير موسى العشران، الحياة الاجتماعية في ولاية سورية (1841-1914م)، رسالة ماجيستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1997م، ص ص 24، 25.

[3]- الشهري، المرجع السابق، ص ص 115، 116.

الجيوش الأوروبية وجيش محمد علي، فاتجهت نحو الإصلاح، وكان ذلك في عهد التنظيمات الخيرية[1].

شملت هذه الإصلاحات جميع المجالات بما فيها مجال التعليم حيث حافظت الدولة العثمانية على المدارس الدينية التقليدية التي رأت أنها لم تعد تفي بالغرض، وأقامت بالموازاة معها مدارس وفق النظم الأوروبية الحديثة وبغرض تنظيم هذه المدارس وتنظيم الهيكل الإداري للتعليم، أصدرت السلطة العثمانية قانون المعارف سنة 1869م الذي ميز بين نوعين من المدارس هما: المدارس الرسمية والمدارس الخاصة[2].

1-المدارس الرسمية(الحكومية):

وهي المدارس التي قامت الحكومة بتأسيسها والاشراف عليها وتقسم إلى مراحل لكل مرحلة منهجها الخاص:

أ-**المرحلة الابتدائية:** هي المرحلة الأولى من مراحل التعليم العثماني، القبول بها مجاني والتعليم بها إلزامي للذكور الذين يتراوح أعمارهم ما بين 7الى 11سنة، وبالنسبة للإناث ما بين 6 على 10 سنوات، مدة دراسة بها 4 سنوات، اما منهاج الدراسة في هذه المدارس فتتضمن بصورة عامة، القراءة والكتابة الحساب، قواعد اللغة التركية، تاريخ...إلخ، ويضاف إلى منهاج البنات الخياطة والاشغال اليدوية[3].

---

[1]- التنظيمات الخيرية: هي مجموع الإصلاحات االتي اقرها عبد المجيد الأول بعد توليه الحكم بضغط أوروبي تمثلت في خط كلخانة 1839م، اعقبه خط همايون سنة1856م الذي جاء لتأكيد ما سبق، شملت هذه الإصلاحات جميع المجالات بغية النهوض بالدولة العثمانية وذلك من خلال الاقتباس من التجربة الاوروبية، انظر: رتشارد وودز، الإصلاح والإسلام، تر: محب الدين الخطيب، القاهرة، 1912م، ص ص 30، 37.

[2]- أحمد سلامة المجاليومحمد عبد الله الرشايدة، "الحياة التعليمة في منطقة شرق الأردن أواخر العهد العثماني (1864-1918م)"، **مجلة الزرقاء البحوث والدراسات الإنسانية**، مج 7،ع 1، وزارة التعليم العالي، الاردن، 2017م، ص ص 439، 440.

[3]-المجالي، المرجع السابق، ص 442.

ومع أن قانون المعارف 1869م قد نص على وجوب نشر المدارس الابتدائية في كل قرية وحي، إلا أنّ ذلك لم يطبق لعدم توفر المعلمين ولصعوبات مالية، ولكن عندما عين مدحت باشا وليا على سورية عام 1878م، عامل ما بوسعه لتأسيس المدارس الابتدائية ونشرها[1].

ب-المرحلة الرشدية: تكون هذه المدارس في السناجق التي يتجاوز أهلها 500اسرة، ويلتحق بها الأطفال من 11 إلى 15سنة، مدة الدراسة 4سنوات، والتعليم بهذه المرحلة مجاني، اهتمت بتدريس القواعد والنحو، الصرف والحساب والهندسة، إلى جانب اهتمامها بالمدارس الدينية وكان الغرض منها تهيئة التلاميذ للمرحلة الإعدادية وتزويدهم بثقافة تمكن من التوظيف في دائرة الدولة[2].

حظيت هذه المدارس باهتمام كبير من السلطان عبد الحميد الثاني حيث بلغ عددها في عهده38 مدرسة للذكور سنة 1809م[3]، أما مدارس البنات فاقتصرت على 9 مدارس نذكر منها مدرسة بدمشق 1893م، وحلب سنة 1893م، ومدرسة بيروت 1894م[4].

ج-المرحلة الإعدادية: تؤسس في الأقضية التي يتجاوز عدد سكانها 1000بيت، التعليم بها مجاني ومدة الدراسة تتراوح بين 5إلى 7 سنوات، ضم منهاجها العلوم الدينية (القرآن الكريم، الحديث)، والعلوم العصرية (الكيمياء، الاقتصاد، الميكانيك ...)، وكان نصيب اللغة العربية في المنهاج قليل مقارنة مع اللغتين التركية والفرنسية، وكان الغاية من افتتاحها اعداد الموظفين المؤهلين لدوائر الدولة[5].

---

[1]- ليلى الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط 3، دار الكتاب، دمشق، 1988م، ص ص 207، 211.

[2]- فريدة محمد علي جاموسى، دار العلماء في النظام التعليمي في القدس أواخر العهد العثماني (1800-1958م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحربي الإسلامي، جامعة سورية، فلسطين، 2010، ص65.

[3]- أنظر الملحق رقم 01، ص 74

[4]- الدباغ، المرجع السابق، ص106.

[5]- الدباغ، المرجع السابق، 102.

واستعاد لهذا الغرض جمعية خيرية من العلماء جمعت الأمانات من الموظفين وصلحت المساجد وصولها الى مدارس، وبعد عزله من قبل السلطان عبد الحميد الثاني، ظهرت جمعيات أهلية أخرى، انتشرت في كافة انحاء بلاد الشام عملت على التوسع في افتتاح المدارس الابتدائية، واهمها جمعية المقاصد الخيرية ببيروت[1]، ولكن ما لبثت السلطة العثمانية ان احلت محل هذه الجمعيات مجلس معارف الولاية سنة 1881م، وعاد امر افتتاح هذه المدارس مشروعا للولاة[2].

د-المرحلة السلطانية: يقبل بها الناجحون في امتحان المرحلة الإعدادية، وتوجد فقط في مراكز الولايات ويشترط دفع التلاميذ رسوما، ومدة الدراسة بها 07 سنوات[3].

هـ-مرحلة التعليم العالي: تشمل دار المعلمين والمعلمات ومدارس الطب ودار الفنون ومكانة الصنائع المختلفة، ويشترط في الطلاب المقبلين عليها أن يكونوا اجتازوا بنجاح المراحل السابقة[4].

وفي سنة 1901م أصدر عبد الحميد الثاني قرار يقضي بإنشاء المدارس الطبية في دمشق وكانت هذه الدراسة فيها 6 سنوات منها 4 سنوت في المدرسة وسنتين في المشفى.

وقد اقتصر التعليم في هذه المدارس على اللغة التركية[5].

2-المدارس الخاصة:

ظهرت في بلاد الشام عدة أنواع من المدارس الخاصة

---

[1]- تأسست جمعية المقاصد الخيرية في بيروت سنة1878م، تراسها عبد القادر القباني ضمت نفرا من الشباب انتخب منهم امين الصندوق والكاتب، سعت لخدمة المعارف الإنسانية دون المداخلة السياسية، انظر: خالد الجندي، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، المدرسة السلطانية، انقرة، 2016م، ص ص 46، 50.

[2]- الصباغ، المرجع السابق، ص 412.

[3]- نفسه، ص 415.

[4]-نفسه، ص 419.

[5] -Evend Emine Onlan,Empire end Education uner The Ottomans:Polities and reforn end resistance from The tanzinot To The yong Turks Londin.2012.P92.

أ- مدارس الأجانب:

التي أسستها الارساليات التنصيرية وقد تم التطرق لها من قبل.

ب-المدارس الوطنية:

عملت هذه المدارس على تعزيز الشعور القومي العربي، وذلك من خلال حفظ ونشر اداتي هذا الشعور وهوما اللغة العربية والتاريخ العربي، كما أسهمت في تكوين العديد من العلماء والمفكرين الذين مهدوا للنهضة العربية وعملوا على تفتح الاذهان فبدأت الأمة تستيقظ من نومها وتثور على الظلم[1]، ومن أشهر هذه المدارس المدرسة الوطنية لمؤسسها **بطرس البستاني** ببيروت عام 1863م، الذي سعى من خلالها تحقيق الوحدة الوطنية حسب ما أورده في بيان افتتاحها[2].

ج-المدارس الاهلية:

سميت بهذا الاسم لكونها أسست من طرف الأهالي الميسورين الحال بهدف التصدي للمدارس الأجنبية الرسمية واللغة التركية، وذلك من خلال انشاء جيل عربي محافظ على لغته ودينه ووطنه[3].

ومن أشهر هذه المدارس دار العلوم ببيروت والكلية العلمية الوطنية ومدرسة الاتحاد الوطني.

وبهذا تكون المدارس الوطنية والمدارس الاهلية قد قامت بدور كبير بإحياء اللغة العربية والتراث العربي كما ساهمت في النهضة التعليمية في بلاد الشّام[4].

---

[1]- بطرس البستاني، نفير سورية، ط 1، دار الفكر، 1990، ص ص 60، 62.

[3]- بطرس البستاني، خطاب في الهيئة الاجتماعية والمقابلة بين العوائد العربية والافرنجية، مطبعة المعارف، بيروت، 1869، ص 120.

[3]- الدباغ، المرجع السابق، ص 108.

[4]- السيد، المرجع السابق، ص81.

ونخلص في الأخير إلى أن التطور في النظام التعليمي في بلاد الشّام بدأ يعرف خطواته الأولى مع مطلع القرن 19م، في اول تجربة اصلاحية لهذا النظام بالمنطقة، حيث بدأت مظاهر التأثير الاوروبي تظهر على مؤسساته ومناهجه، وهو ما يدل على بداية مرحلة جديدة من مراحل التحولات الفكرية والتي كان التعليم مظهرا من مظاهرها.

المطلب 02: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في ميدان الطباعة والصحافة والجمعيات الأدبية والعلمية

أ-الطباعة:

تعتبر الطباعة في العصور الحديثة من أهم أسس الحضارة، فهي عماد المعارف الإنسانية وهي إحدى الوسائل الهامة لنقل العلوم والاقتباس من النظم الحديثة ما يجعلها صاحبة الأثر الأكبر في التحولات الفكرية[1].

وعلى الرغم مما تكسيه هذه الأخيرة من أهمية إلا أن ظهورها في بلاد الشّام تأخر إلى غاية القرن السابع عشر، ونعيد ذلك إلى سياسة الدولة العثمانية حيث حرمت الطباعة واعتبرتها انتهاكا للشريعة، وحتى بعد صدور فتوى من شيخ الإسلام عبد الله أفندي أجاز بها الطباعة، إلا أنّ الدولة شددت الرقابة على المطابع وعرقلت اعمالها وجعلت الحصول على الترخيص لإنشاء احداهما يستغرق سنة كاملة[2].

يعد لبنان الأسبق إلى الطباعة بفضل جهود الارساليات الأجنبية والطوائف الدينية، حيث أنشئت أول مطبعة يدوية بلبنان سنة 1610م، على يد رهبان دير قوزاحيا(قزحية)، فكان أول كتاب يطبع بها تحت عنوان المزامير الذي طبع بعمودين أحدهما بالسريانية

[1]- منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، تق: ياسين الايوبي، دار اقرا، بيروت، 1986م، ص 81.

[2]- يذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الدولة العثمانية منعت المطابع في ولاياتها حرصا على تفشي الجهل ولإدراكها مدى خطورة تسرب الأفكار الغربية الداعية للتحرر ومناهضة الظلم والاستبداد، انظر: اسكندر لوقا، الحركة الأدبية في دمشق (1800-1918م)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1970م، ص51.

والأخر بالعربية[1]، تبع ذلك انشاء مطبعة ديرمايوحنا عام 1738م تعود لصاحبها عبد الله بن الزاخر، اما الثالث مطبعة عرفتها المنطقة فكانت مطبعة القديس جاورجيوس ببيروت 1751م[2].

أما بالنسبة لسورية فقد كان السبق لمدينة حلب، ظهرت بها أول مطبعة حجرية سنة 1705م جلبها البطريك اثناسيوس دياس من بوخاريست، واقتصرت على طباعة بعض الكتب الدينية، ولم تظهر الطباعة في دمشق إلا بعد صدور فرمان سلطاني سنة 1725م يجيز طباعة الكتب العربية والتركية، ويرجع فتور النشاط المطبعي السوري لعدم توفرها على ما توفر للبنان من استقلال ذاتي وتركز للإرساليات الاجنبية[3].

أما فلسطين والاردن فيرجع ظهور المطابع بها إلى عام 1830م عندما أنشئت مطبعة حجرية في فلسطين تطبع باللغة العربية، تلتها مطبعة عربية بالقدس سنة1846م، أمّا الأردن فالنشاط الحقيقي للمطابع بها لم يبدأ إلا بعد الحرب العالمية الاولى[4].

ولابد من الإشارة إلى ان نتاج المطابع في هذه المرحلة تركز على الكتب الدينية بشكل شبه كامل لذا فان أثرها في النهضة الفكرية والثقافية كان محدودا اذ لم تطبع ما يعود بالنفع على أهالي الشّام[5].

شهد القرن التاسع عشر وبالضبط النصف الثاني منه انتشارا للمطابع الالية الحديثة في بلاد الشام، حيث تحسنت أساليب الطبع وتعددت وتنوعت المطبوعات واللغات التي تصدر بها ونعيد الفضل في ذلك إلى المطبعة الامريكية التي نقلت من مالطة إلى بيروت

[1]– انظر الملحق رقم 02، ص 75.

[2]– خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، ط 2، دار المعارف، مصر، 1966م، ص ص 36، 40.

[3]– صابات، المرجع السابق، ص 45.

[4]–مصطفى أحمد، تاريخ الطباعة في الدول العربية، مجلة الفكر، ع 17، مركز عبيكان للأبحاث والنشر، د د، 2017م، ص 12.

[5]–نفسه، ص 14.

عام 1834م والتي ادارها **عالي سميث** حتى وفاته سنة1857م، نشرت هذه الأخيرة حتى عام 1860م نحو 50كتابا مختلفا في الدّين واللّغة والأدب[1].

بالإضافة إلى المطبعة الياسوعية التي تأسست سنة 1848م بدمشق والتي تولى ادارتها في بداياتها **الراهب جون برنJohn Born**، طبعت بالأحرف العربي واللاتينية والسريانية والعبرية كما ادخلت تحسينات كبيرة على قسم التصوير وتعد احسن مطابع سورية، وبلغ عدد مطبوعاتها عام 1850م حوالي 30كتاباً طبع منها 3500نسخة[2].

بعد إدراك الشوام لأهمية المطبعة تم الشروع في انشاء المطابع الفردية، وكان البادئ في هذا المضمار **إبراهيم النجار** الذي أسس المطبعة الشرقية ببيروت عام 1855م، كما أسس **جورجين خوري شاهين** المطبعة الوطنية في نفس السنة، واشترك **خليل سركيس** مع **بطرس البستاني** في تأسيس مطبعة المعارف 1866م والتي نشرت أقساما من قواميس البستاني كمحيط المحيط وقطر المحيط[3].

ظهرت أولى المطابع الفردية في دمشق سنة 1855م، على يد حنا الدوماني وعرفت بالمطبعة الدومانية، كما أنشا يوسف المطران المطبعة الحلبية عام 1857م، واسس **خليل الحوري** المطبعة السورية سنة 1857م ثم اخذت في الانتشار بعد ذلك لتشمل باقي المدن الشامية[4].

زيادة على ذلك انشت الدولة العثمانية في بلاد الشّام ما يعرف بالمطابع الحكومية التي لم تتجاوز مطبعتين، **المطبعة العسكرية** سنة 1963م التي اقتصر عملها على نشر

---

[1]– عبد الكريم غرايبة، سورية في القرن التاسع عشر (1840–1876م)، دار الجيل للطباعة، مصر، 1961، ص 105.

[2]– معاقيلي، المرجع السابق، ص ص 90، 91.

[3]– رجا غازي رجا العمران، النظام التعليمي في الشام في القرن 13هـ، رسالة ماجيستير في التربية، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م، ص ص 206، 209.

[4]– مراح هادي، دور الاتجاهات القومية في تفويض الدولة العثمانية (1876–1923م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019–2020م، ص ص 37، 38.

التقاويم واللوائح العسكرية، **المطبعة السورية** عام 1864م ويشرف **أفندي واصف** على ادارتهما معا[1].

رافق انتشار المطابع العربية الحديثة في بلاد الشّام اتساع نطاق حركة الطباعة والتأليف والترجمة من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية مما أدى إلى انتعاش اللغة العربية، وقد قاد حركة التأليف والترجمة أساتذة الجامعة الامريكية كـفان ديك وجورج يوسف ومن تلاميذهم **بطرس البستاني وناصيف اليازجي واحمد فارس الشدياق**، ومن أعمالهم نذكر: أصول الكيمياء والاصول الخيرية لفان ديك سنة 1869م، مبادئ علم البنات 1871م، ومبادئ التشريع 1889م **لجورج يوسف** وكذا دائرة المعارف ومصباح الطالب **للبستاني** سنة 1854م[2].

وللحفاظ على هذا التراث العربي وجب الاهتمام بالمكتبات العامة، فظهرت المكتبة الشرقية الفرنسية ببيروت والتي تعتبر من أغنى مكاتب العالم في الدراسات الشرقية بحيث تضم ما يقارب 40الف مجلداً، وكذا المكتبة الامريكية التي بلغ عدد كتبها ما يقارب 17الف مجلد[3].

أدت الطباعة دورا مهما في نشر الثقافة وإرساء اركان النهضة العلمية في بلاد الشام، وقد اسهمت في حفظ الآداب العربية من التلف والضياع، وروجت للعلوم والمعارف الحديثة، حيث كانت أداة لنقل مبادئ ومضامين الفكر الأوروبي الذي كان له التأثير الأكبر على آلياتها وظهور المطابع ذات الأنظمة الحديثة، كما كان للطباعة الدور الأبرز في ظهور الصحافة التي اقترن ظهورها بظهور المطابع بشكل مباشر.

[1]– لوقا، المرجع السابق، ص52.

[2]– الهادي، المرجع السابق، ص ص 38، 41.

[3]– نفسه، ص 39.

ب-الصحافة:

تعد الصحافة من اهم قنوات الاتصال التي تعمل على تطوير المجتمع من مختلف نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك عن طريق ما تنقله الى أفراده من أفكار وقيم ومفاهيم تصقل بنائهم وتكوينهم الفكري، كما تلعب دورا بارزا في التأثير على آراء الناس وميولهم واتجاهاتهم، وهذا ما جعل منها احدى أهم مؤسسات الفكر[1].

يشير العديد من الباحثين إلى أن الصحافة صناعة أوروبية ومن مستحدثات المدنية الغربية، فقد ظهرت في أوروبا في القرن الخامس عشر في فرنسا، ورحلت إلى الشرق لأول مرة مع الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، وهذا ما كان له الفضل في جعل مصر الأسبق لاحتضان هذه الصناعة، وذلك من خلال إصدارها **لجريدة الوقائع** سنة 1818م في **عهد محمد علي**[2].

أمّا في بلاد الشّام فلم ينبثق فجر الصحافة إلا في سنة 1851م ببيروت بمجلة **مجموع فوائد** علي أيدي المرسلين الأمريكيين والتي كانت تبحث في الشؤون العلمية والتاريخية، وتعد باكورة المجلات التي ظهرت في المنطقة، اذ لم يكن رجال الصحافة في بلاد الشّام يفرقون بين المجلة والجريدة حتى اتبعوا النهج الغربي للتمييز بينهما، ثم حرر المرسلون الامريكيون جريدة دينية باسم النشرة الشهرية ثم أبدلوها بالنشرة الأسبوعية عام 1870م، وفي العام نفسه تبعهم الياسوعيون نشروا جريدة المجتمع الفاتيكاني التبشير،فكانت هذه المجلات والجرائد في كليتها أجنبية اذ لم يدخل في تحريرها مفكرون شوام واقتصرت ا إدارتها على العلماء والمبشرين الكاثوليك والبروتستانت[3].

---

[1]- علي المحافظة، الوحدة المصرية السورية في الصحافة الأردنية واللبنانية (1958- 1961م)، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، الجامعة الأردنية، الاردن، 1997م، ص ص 11، 12.

[2]- حسام النايف، السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشّام (1840-1878م)، رسالة ماجيستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، سوريا2014، ص 297.

[3]- نفسه، ص 295.

أمّا الصحافة العربية في بلاد الشّام فتعود بدايتها إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونميزها شاكلتين: الأولى هي الصحف التي أسسها المثقفون والمفكرون في بلاد الشّام في الخارج وكانت أولها صحيفة **مرآة الأحوال** لمؤسسها **رزق الله حسون الحلبي** في الأستانة ستة 1855م، اهتمت بنشر احداث ووقائع حرب القرم، وتضمنت مقالات مناهضة للحكم العثماني مما جعل الحكومة تغلقها بعد عام من صدورها، واضطر صاحبها للهرب إلى روسيا[1].

تلتها جريدة السلطنة عام 1858م، وهي ثاني الصحف العربية في الأستانة، ثم صدرت جريدة الجوائب عام 1860م لصاحبها **الشدياق** وهي صحيفة أسبوعية سياسية عملت على إيصال أفكار الأدباء العرب إلى القراء، وتعد الأكثر انتشاراً وتأثيراً في الشرق العربي، كما ظهرت كذلك جريدة عطارد في مرسيليا ونرجس في باريس سنة 1859م[2].

أمّا الثانية فهي الصحف التي ظهرت داخل بلاد الشّام أولها **جريدة حديقة الاخبار** لصاحبها **خليل فوزي** عام1858م ببيروت، وكانت جريدة أخبار فقط، أما الصحافة السياسية فقد دشنها **بطرس البستاني** بإصداره **صحيفة نفير سوريا**عام1850م، وكانت أسبوعية ساعده في تحريرها **ناصيف اليازجي**، كما أصدر في عام 1870م **مجلة الجنة والجنان** والتي شعارها حب الوطن من الايمان، استمر إصدارها لمدة 16سنة، ومن خلال هذه الأعمال تظهر أفكاره الوطنية اذ دعا الى اتحاد الطوائف الدينية وصهرها في بوتقة واحدة، وذلك من خلال انارة العقل وقتل التعصب[3].

كانت الصحافة في الدولة العثمانية غير منظمة بقانون واضح وصريح يعطي الصحفي الحريات ويضع له الحدود وينظم اصدار الصحف ومواعيدها إلى غاية 1865م

---

[1]– الفيكونت فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج1، المطبعة الأدبية، بيروت، د ت، ص ص 59، 64.

[2]– ميسون سيدات، "الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الادارية في ولاية سوريا (1864–1914م)"، **حوليات آداب عين شمس**، مج 37، جامعة عين شمس، مصر، 2009م، ص 205.

[3]– الخوري والجبوري، المرجع السابق، ص1015.

اين أصدر السلطان عبد العزيز (1861 –1876م) أول قانون للصحافة تحت عنوان نظام المطبوعات الصحفية والرقابة عليها واستمر العمل به لغاية سنة 1909م، وقد كان هذا القانون إيذانا بعهد جديد للصحف الرسمية والحكومية في بلاد الشام[1].

فتأسست جريدة سوريا عام 1865م بسبب حاجة الولاية لنشر نصوصها وانظمتها وقوانينها واعلاناتها الرسمية، واستمرت بكونها الصحيفة الوحيدة بدمشق حتى سنة 1879م، أين أنشأت صحيفة دمشق لصاحبها أحمد عزت باشا وهي جريدة أسبوعية سياسية صدرت باللغتين التركية والعربية، وصدرت في حلب جريدة غدير الفرات عام 1867م لمؤسسها الوزير التركي جودت باشا، اختصت بنشر اخبار الولاية والاوامر الحكومية، أما في لبنان فتعود نشأة الصحافة الرسمية لسنة 1867م أين أصدرت جريدة لبنان[2].

وكنتيجة للحرية النسبية التي وفرها قانون 1865م نشطت حملة الأقلام وبرزت العديد من الصحف وصل عددها الى 25 جريدة[3] نذكر أهمها **جريدة الشهاب** عام 1877م لصاحبها **الحاج هشام العطار** بالإشراك مع **عبد الرحمان الكواكبي**، وبعد تعطيلها بفعل الوالي **كامل باشا** أسس **عبد الرحمان الكواكبي** جريدته الخاصة في حلب تحت عنوان **الاعتدال** سنة 1879م، وهي صحيفة أسبوعية نددت بتصرفات الحكومة وسعت الى فضح مفاسد الموظفين[4].

كما نذكر صحيفة **ثمرات الفنون** والتي تأسست من قبل جمعية الفنون سنة 1876م، وأشرف على إدارتها **عبد القادر قباني**، حيث تعد أول صحيفة إسلامية جاءت كرد فعل على

---

[1]– من بين المواد التي تضمنها قانون 1865م: محضور على الصحافة نشر أي لم يقترن بمصادقة صاحب الجلالة، تدفع ضريبة على كل عدد صادر تسمى **بالطمغة**، وفي حال مخالفة أحد البنود يتعرض صاحب الجريدة لعقوبات تتراوح بين الجزاء النقدي والحبس لمدة مختلفة وتعطيل الصحيفة عن صدور وتشديد العقوبات اذ أورد في المطبوعة ما يخل بنظام السلطة وامنها، انظر: ميشال غريب، الصحافة العربية واللبنانية، د د، بيروت، 1892م، ص 9.

[2]– النابف، المرجع السابق، ص 59.

[3]– انظر الملحق رقم03، ص 76.

[4]–الدبّاغ، المرجع السابق، ص 59.

صحيفة **التبشير الكاثوليكية**، وقد تضمنت هذه الصحيفة مقالات شديدة اللهجة عن مساوئ الحكم في الدولة العثمانية، وعن الولاة مما جعل الحكومة تفرض عليها ضرائب قاسية بالإضافة الى كل من **جريدة المقتطف** عام 1876م **ولسان الحال** سنة 1878م ببيروت، وكذا **جريدة الخلافة** بالقدس سنة 1884م[1].

وما يلفت النظر ان النشاط الصحفي في بلاد الشّام لم يعد يقتصر على المجالات العلمية والثقافية بل تعدته للدعوة الى الإصلاح الزراعي والاقتصادي فأخذت تجتذب انتباه الراي العام الى ما أحرزه الغرب من تقدم والتي يجب ان تتبع في بلدهم، كما دعت الى إيقاظ الشعور القومي وبث فكرة الاستقلال السياسي الوطني[2].

ونتيجة المخافة من إثارة القلاقل والبلابل في بلاد الشام لاعتبارات سبقت الإشارة إليها منذ قليل عمل السلطان **عبد الحميد الثاني** بعد توليه الحكم سنة1876م على تضييق الخناق على الصحافة وذلك من خلال قانون 1878م ، والذي تنص معظم مواده 34مادة على كبت حرية العاملين في حقل الصحافة، و مطادرتهم عند اول بادرة مخالفة لشروط المراقبة مما جعل الصحف الشامية شبه معطلة[3] ما جعل العمل الصحفي داخل الدولة العثمانية يتحول الى عمل سري، ومثال ذلك ما كان يقوم به **عبد الحميد الهزاوي** في حمص من اصدار جريدة المنبر وتوزيعها سرا في جميع أنحاء البلاد الشامية[4] ، ومن ناحية أخرى فقد اخذ العاملون في الصحافة بالفرار الى خارج الدولة العثمانية وخاصة القاهرة ، فقد كان هذا القطر مؤهلا لأمثال **أديب إسحاق وعبد الرحمان الكواكبي ورشيد رضا** وغيرهم بسبب منح الصحافة حرية اكبر واوسع من جانب السلطات المحلية أولا والبريطانية ثانيا، حيث

---

[1]– شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية والبنانية (1800–1947م)، ج 1، منشورات السمار، باريس، 2006م، ص ص 94، 96.

[2]– دي طرازي، المرجع السابق، ص87.

[3]– قانون 1878م: هو تعديل لقانون سنة 1865م ومواده اشد وطأة من مواد القانون السابق له، ينظر: نفسه، ص ص 90، 92.

[4]– الرفاعي، المرجع السابق، ص 89.

كانت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي منذ عام 1882م وقد رحبت السلطات الإنجليزية بالصحفيين الشوام لكونهم مناوئين للسلطان عبد الحميد الثاني[1].

ومن أقدم صحف بلاد الشام في مصر **جريدة الكواكب الشرقي** سنة 1879م **والاهرام** 1876 **ومرآة الشرق** 1879م لمؤسسها **أديب إسحاق**، اما في الدول الأوروبية فنذكر **الاتحاد العربي** 1881م بأمريكا، **والبصير بباريس** سنة 1882م[2].

وإذا كانت الآراء السياسية التي خرج منها الصحفيون من اهل الشام في اوروبا تعد افكارا تقدمية إلا أنّ أثرها لم يكن بالغا لبعد أوروبا ولصدورها بلغات أجنبية لم تكن واسعة الانتشار في بلاد الشّام، غير أن الصحافة في القاهرة وبيروت كان لها تأثير مباشر في هذا المجال لاستخدامها اللغة العربية ولتلاصق هذه المراكز من ناحية أخرى[3].

ومع صدور دستور عام 1908م تضاعف عدد الصحف الشامية اذ بلغ عددها 37 مجلة، ومع سنة 1915م عطلت جميعا وذلك بسبب التضييق الذي مارسه الاتحاديون[4].

انبثق فجر الصحافة في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع عشر كنتيجة للاحتكاك الحضاري بالغرب الذي كان له بليغ الأثر في توجه الصحافة لمعالجة قضايا المجتمع خاصة السياسية منها، هذا الذي جعل الصحافة أحد أهم وسائل النهضة الفكرية وتبلور الوعي القومي في بلاد الشام.

---

[1]– الرفاعي، المرجع السابق، ص 91.

[2]– إسكندر لون، المرجع السابق، ص 63.

[3]– محمد كرد علي، حال بلاد الشام في مطلع القرن الرابع عشر هجري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 2008م، ص ص 169، 170.

[4]-نايف، المرجع السابق، ص ص 102، 105.

ج-الجمعيات:

في ظل التحولات الفكرية التي شهدتها بلاد الشام وإلى جانب النشاط التعليمي والصحفي، ظهرت حركة انشاء الجمعيات العلمية والادبية والتي عملت على نشر العلوم وتنميتها في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وما لبثت ان مست مساعيها الجانب السياسي وذلك من خلال مناهضتها لأنظمة الحكم العثمانية ونميز بها نوعين: جمعيات أنشأت من طرف الارساليات التنصيرية، وجمعيات أنشأت من طرف أبناء البلاد[1].

تشكلت أول جمعية فكرية في بلاد الشام عام 1847م ببيروت تحت اسم جمعية الآداب والفنون، والتي بدأت كناد أدبي أمريكي أسسه المبشرون قبل افتتاح مدارسهم الكبرى، وتعود فكرة تأسيسها لكل من **اليازجي** و**البستاني** بعد تأثرهما بالجمعيات الاستشراقية الأوروبية[2]، ضمت 50 عضوا مسيحيا بينهم الكثير من الادباء والكتاب أمثال **ميخائيل شحادة، جبوري الحوري وعالي سميث،** وكانت تعنى بإلقاء الخطب والمحاضرات والمناقشات في مسائل علمية وأدبية، استمرت لمدة 05سنوات وأغلقت أبوابها عام 1852م[3]، لتحل محلها الجمعية العلمية السورية عام 1857م، بعد تقدم عدد من المسلمين باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك في تأليف جمعية جديدة تتحد فيها جهود أهل العقائد الدينية جميعاً لخدمة العلم ، بلغ عدد أعضائها 150 عضو من بينهم الصدر الأعظم **كامل باشا** وبعض رجالات الدولة من امثال يوسف كامل باشا وذلك بعد نيلها لاعتراف السلطات العثمانية سنة 1868م، أما رئاستها فعادت إلى الأمير **محمد الأمين أرسلان**[4].

عقدت الجمعية ما يفوق 20جلسة مفتوحة تناولت فيها شتى الموضوعات وكافة مناحي العلوم الحديثة كالزراعة والصناعة والتاريخ...إلخ.

---

[1]- غرابية، المرجع السابق، ص ص 216، 218.

[2]- عيسى، المرجع السابق، ص ص 245، 247.

[3]- فاطمة بوجلطي، انعكاسات الامتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19م، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2010م، ص 132.

[4]- نفسه، ص ص 133، 134.

وألقت الضوء على علوم العرب قديما وشددت على ضرورة التمسك بالتراث العربي وإعادة إحيائه من خلا ل إحياء اللغة العربية، كما كان لمكتبتها دور آخر في نشر المعارف بين الناس لما احتوته من كتب ومخطوطات مهمة، وبهذا تكون الجمعية العلمية قد لعبت دورا كبيرا في النهضة الفكرية في البلاد[1].

لكن الأهمية الحقيقية للجمعية تكمن في كونها مهدت للحركة السياسية، حيث حولت النقاش في الموضوعات الثقافية الى حوار سياسي، الهدف منه إيجاد الوسائل والسبل المناهضة للاستبداد العثماني، ومن هنا تم تبني الدعوة القومية كوسيلة لتحقيق الاستقلال الوطني[2].

وقد تم تجسيد هذه الافكار والمبادئ من خلال الجمعية السرية المنشقة عن الجمعية العلمية والتي تم تأسيسها سنة 1875م ببيروت من قبل خريجي الكلية الامريكية، وقد عملت على فضح مساوئ الحكم العثماني وحث الشعب على الثورة عن طريق المنشورات التي علقت على الجدران ليلا، ثم توسع نشاطها فأنشأت فروع لها في دمشق وطرابلس وصيدا[3].

اهتزت السلطة العثمانية لنشاط هذه الجمعيات، فأرسل السلطان عبد الحميد جواسيسه الى بيروت في محاولة منه للتصدي لها والقضاء عليها، وقد تم اتهام مدحت باشا والي سوريا بخلق هذه الحركة وتشجعيها، فسحب منه منصبه وتم نفيه، وظهر ظلم هذا الادعاء بعد بقاء نشاط الجمعية قائما لعدة سنوات بعد عزله، غير أنّها توقفت عن العمل ما بين 1881م و1882م وهي الفترة التي تواكب هجرة المفكرين الشوام إلى مصر نتيجة السياسة الاستبدادية التي اتبعها السلطان عبد الحميد الثاني[4].

تعد الارساليات الامريكية صاحبة الفضل في انشاء الجمعيات لأول مرة في بلاد الشام بل في العالم العربي كله، ولم تكتفي بما أسسته من جمعيات سابقة الذكر، بل تعدته لانشاء

---

[1]– بوجلطي، المرجع نفسه، ص 135.

[2]–نايف، المرجع السابق، ص 235.

[3]– سليمان موسى، الحركة العربية (1908–1925م)، ط 3، دار النهار للنشر، بيروت، د ت، ص 27.

[4]– يحي، المرجع السابق، ص ص 222، 226.

أخرى جديدة، لتعدد الأغراض والاهداف التي تسعى لنشرها من خلال هذه الجمعيات [1]ومن أبرزها نذكر:

جمعية شمس الدر في بيروت سنة 1869م والتي كانت فرعا لاتحاد الشباب المسيحيين في إنجلترا، انضم إليها العديد من طلبة المدارس الامريكية في بلاد الشام، كان أكثرهم أطباء وأصحاب صحف، فتحت فرع لها في دمشق عام 1874م باسم جمعية **رباط المحبة** تضم 40 عضوا بعضهم من المبشرين فكانت أول جمعية دمشقية، وعلى الرغم من أنّ هدف الجمعية نشر المسيحية ومحاربة الرذيلة إلا أنها قامت بدور كبير جدا في نشر الفكر المادي العلماني وباقي المذاهب الأوروبية الحديثة والتي سعت من خلالها لتقويض الدولة العثمانية[2].

كما نذكر كذلك **جمعية زهرة الآداب** في بيروت سنة 1873م والجمعية التاريخية في دمشق سنة 1875م، وقد شكلت كلتيهما من أعضاء المدارس الامريكية بغرض تشجيع البحث التاريخي مع عدم التعرض للأمور الدينية والسياسية، كما نالت المرأة نصيبها من اهتمام الجمعيات، فأنشأت **جمعية باكورة** بيروت عام 1880م لذلك الدور الذي تلعبه المرأة في حياة الاسرة والمجتمع، كانت الجمعية برئاسة السيدة **مريم مكاريوس** ونادت بضرورة تعليم المرأة، وحقها في العمل، كما طالب بالمساواة بينهما وبين الرجل، وسعت إلى نشر نموذج المرأة الغربي بين النساء الشاميات، وقد تم إقامة فروع لهذه الجمعية في مصر منها **جمعية زهرة مصر**، والتي أنشئت بين بنات المدارس الامريكية بالقاهرة[3].

لعبت الارساليات الامريكية دورا كبيرا في تشجيع الطوائف الأخرى لتحذو حذوها وكان الأسبق كالعادة الياسوعيين جراء المنافسة التي تجمعهم مع البروتستانتيين فأسسوا عام 1815م **الجمعية الشرقية** ببيروت، والتي كان أغلب أعضائها ممن أسسوا **الجمعية العلمية السورية** على **غرار براهيم النجار وحبيب اليازجي**، وقد اهتمت بنشر المحاضرات لمختلف

[1]– غرايبية، المرجع السابق، ص 220.

[2]– علواش، المرجع السابق، ص125.

[3]– عيسى، المرجع السابق، ص ص 254، 260.

العلوم أما طائفة الأرثوذكس فقد أسسوا جمعية **زهرة الإحسان** عام 1880م في لبنان لنشر التربية والتعليم بين أبنائها[1].

أما بالنسبة للجمعيات الاسلامية فتعد **جمعية المقاصد الخيرية** أول جمعية إسلامية افتتحت في بلاد الشام حيث يعود تاريخ تأسيسها لسنة 1878م ببيروت، وقد لعبت دورا كبيرا في التصدي لخطر الارساليات التنصيرية وذلك من خلال تشجيع الفكر والثقافة عن طريق تأسيس المدارس للبنات والبنين ونشر العلم بين المسلمين، وردا على ظهور جمعية باكورة السنوية تم اقامة جمعية **نهضة الفتاة** المسلمة التي انصب اهتمامها على تعليم بنات المسلمين والقاء المحاضرات لتثقيفهن[2]

وقد استمر نشاط هذه الجمعيات إلى غاية القرن العشرون أين تأسست العديد من الجمعيات **جمعية النهضة العربية** 1906م[3]، **والجمعية القحطانية** عام 1909م[4]، حيث مثلت انعطاف حاسم في الموقف الفكري للعرب وبلاد الشام[5].

وبذلك يمكن القول أنّ الجمعيات العربية وإلى جانب التعليم والطباعة والصحافة كانت إحدى أهم مقومات نشر الفكر والثقافة الغربية في بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر، وذلك من خلال ما نقله من افكار ومبادئ أوروبية حديثة ساهمت في احداث نهضة فكرية وتشكل اول نهضة قومية في البلاد.

---

[1]– اليافي، المرجع السابق، ص ص 33، 34.

[2]– علي عبد المنعم شعيب، التدخل الاجنبي وأزمات الحكم، ط 1، الفارابي، بيروت، 2005، ص 158.

[3]– جمعية النهضة العربية: تأسست بالاستانة وتم إقامة فرع لها بدمشق، ترأسها محب الدين الخطيب، غايتها الأولى خدمة الأدب العربي واللغة العربية والثانية بث روح الاستقلال في النفوس الناشئة العربية، ينظر: لوقا، المرجع السابق، ص 69.

[4]- الجمعية القحطانية: جمعية سرية أسسها عبد الكريم الخليل أغلب أعضائها الضباط العرب، سعت أن تكون الدولة العثمانية ذات تاج مزدوج عربي وتركي وان تحصل الولايات العربية على حكم لامركزي في إطار حكم الدولة العثمانية، ينظر: نفسه، ص ص 69، 71.

[5]–شعيب، المرجع السابق، ص 161.

المطلب 03: نتائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام.

شهدت المجتمعات العربية عامة والشامية خاصة سباتا وركودا فكريا جراء تقوقعها على نفسها، وظلت قابعة على ذلك الحال إلى غاية القرن التاسع عشر أين كانت نقطة التحول، والتي تمثلت في ذلك التصادم الحضاري بين الفكر الغربي والفكر العربي، والذي كان من نتاجه أن أدرك العرب مدى ضعفهم وتخلفهم فسعوا إلى ايجاد البدائل لتدارك هذا الانحطاط والجهل، غير أنّهم وقفوا في هذا الوافد الجديد–الفكر الغربي–موقف الزبون فأخذوا ما ينفعهم وما يضرهم على حد سواء.

أ–النهضة العربية الحديثة:

يقصد بالنهضة العربية الحديثة تنبه المجتمع في كل أنحاء العالم الإسلامي والعربي منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى وجوده في حالة خمول وتخلف وتبعية لا ينسجم مع ماضيه العربي الإسلامي وحضارته الاصيلة وسيادته السابقة وبالتالي لا تتلائم مع الإيقاع الحضاري الذي كانت تعيشه اوروبا[1]، هذا ما جعل المفكريين والمثقفين العرب يجدون في البحث عن السبل والوسائل التي تمكنهم من الخروج من هذا الواقع المهيب واللحاق بالركب العالمي[2].

ومن أهم العوامل التي ساهمت في تنبيه العرب واستيقاظهم ذلك الاحتكاك المباشر الذي حدث بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية وما نتج عنه من تفاعلات إيجابية وسلبية، والذي كان بفعل تسلل الأفكار والمؤثرات الأوروبية إلى المجتمعات العربية عبر منافذ مختلفة من أبرزها الحملة الاستعمارية التي قادها نابليون على مصر سنة 1798م، وما حملته من مظاهر المدينة الأوروبية وافكار الثورة الفرنسية، ومما زاد من أثر الحملة

[1]– الصباغ، المرجع السابق، ص ص 221، 222.

[2]– الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 215.

اثارتها لقضية التفاوت، حيث بيّنت ما وصل اليه الغرب من تقدم وما قابل ذلك من ضعف وتخلف العرب في مختلف الميادين العسكرية والعلمية والاقتصادية[1].

ومن منافذ التواصل والتعارف بين ممثلي الحضارتين أيضا الارساليات التبشيرية التي ابتدأت عملها منذ القرن السابع عشر في الأواسط المسيحية، حيث كان لها بالغ الأثر في نشر الثقافة الغربية بين صفوفهم[2]، وذلك من خلال ما أقامته من مطابع في بلاد الشام بداية من القرن الثامن عشر، وقد ترافق ظهور الطباعة مع الصحافة التي ساهمت في تعميم الثقافة الغربية وايصالها لمختلف فئات المجتمع، كما شكلت منبرا للأدباء والمفكرين ينشرون منه أفكارهم السياسية والأدبية، ويعالجون القضايا التي كانت تشغل الأمة وقتها[3].

كما ساهمت الارساليات الأجنبية من خلال ما أنشأته من مدارس حديث وكليات في تكوين نخبة ملمة باللغات الأجنبية كان لها شديد الأثر في إقامة الحوار مع الغرب، والتي كانت الترجمة العلمية والأدبية أداة له[4].

إلى جانب ذلك نذكر الجمعيات العلمية والأدبية والتي عرفتها بلاد الشام في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وتعود فكرة تأسيسها للإرساليات التنصيرية حيث لم تظهر الجمعيات الإسلامية العربية إلى غاية ثمانينيات القرن 19م، وقد كان لها الدور الأبرز في إحياء اللغة العربية وآدابها القديمة، ساهمت في نقل المبادئ والمذاهب الأوروبية، فكانت منبر للعلمانية والقومية ن كما اهتمت كذلك بإحياء التراث العربي مما مكنها من لعب دور اساسي في النهضة العربية الفكرية[5].

---

[1]– محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص 122.

[2]– غربي، المرجع السابق، ص 216.

[3]–عودة والخطيب، المرجع السابق، ص ص 123، 124.

[4]– بودربالة، المرجع السابق، ص 208.

[5]– ماجد الخوري، الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة (1800–1922م)، دار النهار للنشر، بيروت، 1992م، ص 23.

كما يجب أن لانهمل الدور الذي قام به المستشرقون من خلال دراستهم لنفائس العرب من آداب وعلوم فأحيوا روح اليقظة ونبهوا العرب إلى عظمتهم في فترة الحضارة العربية الإسلامية، فكان لهم بذلك دور فعال في استثارة النهضة العربية الحديثة[1].

وما زاد منافذ الحضارة الأوروبية الى المجتمع العربي اتساعا في القرن التاسع عشر هو تبني الحكام والوزراء والمفكرين للحضارة الغربية أساسا للإصلاح والتطور، فكانت الدولة العثمانية سباقة في خوض التجربة من تحديث للمؤسسة العسكرية التي رافقتها تحديثات على كافة الأصعدة ونخص بالذكر مجموع الإصلاحات التي أقرها السلطان **عبد المجيد الأول** والممثلة **بخطي شريف كولخانة** 1839م **وشريف همايون** 1859م والتي من خلال التسهيلات الواسعة التي منحتها للأجانب في الميادين التجارية والثقافية خلقت نوعا من التنافس والتسابق بين الدول الأوروبية في نشر نفوذها وهيمنتها وحضارتها في البلاد العربية[2]، اضف إلى ذلك التجربة التحديثية التي عرفتها مصر في عهد محمد علي التي انتقلت فيما بعد تأثيراتها على بلاد الشّام وبقية البلاد العربية والذي يهمنا في هذه التجربة جانبها الفكري خاصة ما تعلق بالبعثات العلمية إلى أوروبا حيث عاين الطلاب المصريين والشوام عن كثب ما كان يجري في أوروبا من تحولات واصلاحات سياسية وتطورات علمية وتقنية وحضارية، فكان لهم بالغ الأثر في اليقظة العربية من خلال ما حملوه مهم من علوم وتقنيات حديثة[3].

ولابد من التنويه غلى أنّ التفاعل بين الفكر الأوروبي والفكر العربي كان عاملا هاما مساعدا في نمو البذرة الأولى للنهضة العربية، لكنه ليس العامل الأول في تكوينها، لقد ولدت تلك البذرة من أعماق الفكر العربي وارتداده إلى أصوله أكان في دراسة العلوم الدينية او اللغوية او الادب أو الشعر، ويذكر هذا الأمر بالحركة الانسانية في أوروبا التي كانت

[1]– عودة والخطيب، المرجع السابق، ص 113.

[2]– ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م، ص ص 31، 35.

[3]– غربي، المرجع السابق، ص 218.

عماد نهضتها في العصور الحديثة عندما دفعت الفكر الاوروبي الراكد لكي ينهل من أصوله الحضارية الأولى اليونانية والرومانية[1].

قاد هذه الحركة النهضوية الفكرية ثلة من المفكرين صوروا من خلال كتاباتهم سوء أحوال العرب والمجتمع العربي ونادوا بضرورة نهوضه، حيث اجتمعوا على لزوم مشروع تحديثي لكنهم اختلفوا في كيفية التنفيذ ما أسفر على ثلاثة اتجاهات فكرية أولها التيار التغريبي[2] الذي نادى باتخاذ الحضارة الغربية نموذجا شاملا للمجتمعات الإسلامية بكل ما نتج عنها من نظريات وأفكار في مختلف الميادين [3]، كما نادى بضرورة القطيعة مع التراث الإسلامي وفصل الدين عن الدولة، واتباع الأنظمة العلمانية، وقد مثل هذا الاتجاه المسيحيون العرب أمثال **بطرس البستاني وإبراهيم اليازجي وشبلي الشميل**[4] .

أما الاتجاه الثاني فتمثل في الاتجاه المحافظ وهو تيار تراثي سلفي، اتخذ مؤيدوه موقفا شديدا ومتزمتا عن كل تجديد طارئ على الحياة العربية الإسلامية والتغريب بالذات دعا إلى النهوض بالمجتمع عن طريق تطبيق مبادئ الإسلام الأولى حيث يرى ان سبب تخلف المسلمين ترجع لابتعادهم عن الدين الذي دخلته البدع والضلالات وجعلوا هدفهم الأول تنقية الدين من الشوائب والبدع التي الصقت به، ومن أبرز من مثل هذا الاتجاه **الحركة الوهابية، والسنوسية والمهدية** إلى جانب شيوخ المدارس والعلماء[5].

ومع مطلع القرن التاسع عشر شهد التيار السلفي تطورا جديدا في مبادئه وأهدافه فلسفته الإصلاحية، حيث دعا إلى إصلاح شامل في الدين والدنيا مع الاخذ بأسباب

---

[1]– خالد زيادة، المسلمون والحداثة الاوروبية، ط 1، المركز العربي للأبحاث والدراسة، بيروت، 2017م، ص ص 403، 407.

[2]– رحماني، حركة التحديث في مصر ...، المرجع السابق، ص 8.

[3]– علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798–1914م)، ط 2، دار الاهلية، بيروت، 1987، ص ص 130، 132.

[4]– شبلي الشميل(1850– 1917م): تخرج من المدرسة الطبية التابعة للكلية السورية في بيروت، اكمل دراسته في باريس وانتقل لمصر اين مارس مهنة الطب، واخذ يكتب في مجلة المقتطف والعديد من المجلات الأخرى، كتب كتاب بعنوان **شكوى واهل** وجهه الى السلطان عبد الحميد الثاني لخص فيه نقائص الحكم ، ينظر: نفسه، ص 104.

[5]– غربي، المرجع السابق، ص 223.

الحضارة الغربية والعلوم الحديثة بشكل خاص شريطة أن تتلاءم مع الشريعة الإسلامية، وقد قد هذا الاتجاه كل من **جمال الدين الافغاني**[1] صاحب الجامعة الإسلامية وتلميذه **محمد عبده**[2].

أمّا الاتجاه الثالث وهو التيار التوفيقي الذي جمع بين الوافد والموروث وبين الأصالة والمعاصرة وبين الإسلام والفكر الغربي بحيث يتم الاخذ من الحداثة الأوروبية ما لا يتناقض مع قيمنا الدينية والحضارية، ومع التراث العربي الإسلامي بما يساير العصر ومتطلبات التقدم ومن أبرز من مثل هذا الاتجاه رفاعة الطهطاوي وعبد الرحمان الكواكبي[3].

مثلت النهضة العربية مظهرا من مظاهر تفاعل المفكرين العرب مع الافكار التنويرية الأوروبية التي انتشرت في العالم الإسلامي نتيجة الصدام الحضاري بين هذا الأخير والعالم الأوروبي خلال القرن التاسع عشر، وهي مرحلة صحو واستيقاظ اذ استطاع المجتمع العربي أن يثبت وجوده إلا أنه لم يستطع النجاح في اللحاق بالركب العالمي، ولا بتحقيق ما وصلت إليه أوروبا، ونرجع ذلك إلى العديد من الأسباب أبرزها الاستعمار الغربي للبلاد العربية.

---

[1]- جمال الدين الافغاني: ولد سنة 1839م في أفغانستان، وتلقى تعليمه كابل، وشغل منصب رئيس وزرائها وبعد حدوث انقلاب على حاكمها انتقل إلى مصر سنة 1870م ثم الاستانة ثم هاجر لى باريس، ودعا تلميذه محمد عبده إليها سنة 1883م أين أسسا جمعية العروة الوثقى وأصدرا جريدة العروة الوثقى، وهو صاحب فكرة الجامعة الإسلامية وهي تيار فكري جاء كرد فعل على الغزو الفكري الاستعماري والثقافي للعالم الإسلامي ودعا إلى توحيد الامة الإسلامية تحت جناح الخلافة، ينظر: صلاح الدين زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001م، ص 35، 40.

[3]– محمد عبده : ولد سنة 1849م بمصر أحد خريجي معهد الازهر سنة 1877م ، عين مدرسا في دار العلوم والف الكتب في علم الاجتماع والتربية ، كتب في جريدة الاهرام ثم تولى تحرير الوقائع المصرية وبقي لاشتراكه في الثورة االعرابية1882م فاتجه نحو باريس بعد تلقيه الدعوة من معلمه، ينظر: نفسه، ص ص 45، 63.

[3]– عبد الرحمان الكواكبي(1849– 1903م): هو أحد رواد النهضة العربية ومؤسس لشهاب، صاحب كتابي طبائع الاستبداد و أم القرى ، ناقش من خلالها أوضاع المجتمعات العربية ونبذ سياسة الاستبداد حيث هاجم السلطان عبد الحميد الثاني ، ودعا الى توحيد الامة العربية والنهوض بها من خلال الاقتباس من الأنظمة الغربية شريطة أن لا تتعارض مع المفاهيم الإسلامية الشرعية، انظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي للتعليم، مصر،2011، ص ص 69، 75.

1-الحركة القومية العربية:

القومية هي ذلك الاعتقاد السائد لدى الشعب في أنّه شكل جماعة متميزة ذات سمات خاصة تميزه عن الآخرين، مع توفر الرغبة في حماية هذا التميز والارتقاء به ضمن حكومة ذاتية، وبمنظور أخر هي مبدا سياسي اجتماعي يمجد فيه الانسان جماعة محددة من الناس يجمعها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة، تشترك في الوطن واللغة ووحدة التاريخ والاهداف[1].

تعود جذورها الاولى إلى أوروبا حيث تعد من أبرز الأفكار التي تمخضت عن عصر التنوير باتجاهيه الفرنسي والألماني، فالاتجاه الفرنسي يؤكد فعل الإرادة المشتركة في تكوين القوميات حسب **رينان Renan** ، والاتجاه الألماني يؤكد على فعل اللغة في تكوين القوميات حسب **هردر** و **فيخة**[2]، وقد تجلت ثمارها واضحة للعيان في القرن التاسع عشر الذي شهد بروز ألمانيا وإيطاليا كدولتين قوميتين، أعقب ذلك بروز النزعات القومية في بلاد البلقان التابعة للدولة العثمانية، لتنتقل عدوى الفكرة الى الشرق الإسلامي عموما وبلاد الشام خصوصا في النصف الثاني من القرن السالف الذكر، حيث ساعد التعليم الحديث سواء كان حكوميا أو أهليا في مدارس الارساليات الأجنبية ، وتسيير الكتب المترجمة بفضل الطباعة وككتابات **الطهطاوي واليازجي** وغيرهم ممن اعادوا استكشاف اوروبا في القرن التاسع عشر على التعرف على فكرة القومية [3] .

ثم تطورت الحركة القومية العربية من الطور الادبي الرومانتيكي إلى طور العمل السياسي ممثلة أول الامر في "جمعية بيروت السرية" التي تألفت عام 1875م، حيث تعد منشوراتها أول عمل ثوري عربي، وقد تضمنت مساوئ الحكم العثماني ونددت سياسته

---

[1]- عبد القادر بو تشيشة، بلاد الشام بين أنصار الوحدة العثمانية وإعادة الفكر القومي (1860-1908م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2017-2018م، ص ص 161، 163.

[2]- ساسيين عساف، "القومية العربية أسباب التعثر وسبل النهوض"، **مجلة الفكر العربي**، مج 18، ع 90، معهد الانماء العربي، بيروت، 1997م، ص 7.

[3]- حوراني، المرجع السابق، ص 49.

الاستبدادية وحرضت الشعب على الثورة والمطالبة بالاستقلال، فتبلورت فكرة الوطن السوري، وقد اتخذت هذه الجمعية من قصيدة إبراهيم اليازجي نشيدا لها، ويعد اول نشيد لحركات التحرر السياسي، ومطلبها:

انتبهوا واستفيقوا أيّها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب[1].

إلى جانب نشاطات الجمعيات نجد نشاط الصحافة الدورية العربية التي قامت بدور لا يستهان به في تطوير الوعي القومي العربي، ومن المسلم به أن الصحافة العربية قامت على اكتاف المسيحيين العرب في بلاد الشّام والذين أيّدوا هذا الاتجاه وشجعوه.

كان للصحافة دور مكمل لما بدته الجمعيات الثقافية من نشاطات، لكن شكل أوسع بسبب سعت انتشارها الشيء الذي حقق أكبر الأثر في نشر الوعي القومي، ومن الجرائد التي سلكت هذا الاتجاه: مجلة لبنان 1863م وجريدة سوريا عام 1864م[2].

ومن الموضوعات التي ركزت عليها الصحافة العربية في تلك الفترة هي اللغة العربية وضرورة التمسك بها وإعادة إحيائها من جديد بحيث تصبح عصرية تواكب العلم الحديث، بالإضافة إلى الفخر بالجنس العربي ، والشغف بأمجاده السابقة وأخلاقه المميزة والدعوة المستمرة للأخذ بأسباب تقدم الامة المتمدنة، وفي هذا هدا الصدد يقول محمد كرد: "علمتهم بسائط من التاريخ وحال الأمم وسياسة السياسيين، وأنّ أمتهم كانت شيء مذكورا فيما مضى، ولا حياة لأحفادها دون الأخذ بسيرة الاجداد والاقتباس من المدينة الحديثة كلما لا ينزع منها مستخلصاتهم ومقدساتهم"[3].

ويلاحظ أن العناية باللغة العربية صدى لظاهرة أهم هي تنبيه الوعي العربي والاتجاه إلى إبراز مقومات الأمة العربية، وإثبات شخصياتها أمام التحديات، ومن هنا ساهم العديد من الأدباء واللغويين في إحياء اللغة العربية وآدابها، وتم رصد الكثير من المؤلفات

---

[1]– أنيس، المرجع السابق، ص 267.

[2]– نفسه، ص 270.

[3]- كرد علي، حال بلاد الشام ...، ص ص 90، 91.

التي عبرت بأفكارها ومضامينها عن بدايات الوعي القومي لدى الكتاب المسيحيين العرب الذين نادوا من خلال مؤلفاتهم التمثل بالغرب في بناء دولة حديثة، خاصة ما تعلق بالأنظمة الدستورية الداعية إلى ترسيخ العدل والحرية والمساواة والثورة على الواقع الاجتماعي والتعليمي الذي يعيشه العرب، والتركيز على فكرة الواسطة القومية بمعناه الحديث على أساس اللغة والجنس والثقافة والتاريخ والآمال المشتركة تمييزا لها عن الرابطة الإسلامية أو العثمانية [1]، ولابد من الإشارة إلى أنّ هذه الكتابات جاءت بأشكال مختلفة، قصص وروايات ومسرحيات وكتابات اجتماعية واصلاحية وعبى فترات مختلفة خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، ومن هذه الكتابات: مسرحية عنترة لغانم شكري وكتاب العلم والتربية لصاحبه خليل زينية[2].

ومما سبق نلاحظ أنّ المسيحيين كانوا أول المنادين بالقومية العربية ويرجع ذلك لهذه الأسباب:

أولها المدارس التبشيرية التي انتشرت في بلاد الشام بداية من القرن السابع عشر، وقد حرصت على تعليم اللغة العربية والآداب العربية، والتي كان روادها مسيحيين عرب فتكون لديهم إيمان قوي بأنه كان للعرب حضارة قبل الإسلام أينعت وأثمرت مع الإسلام، وأنهم كمسيحين أسهموا في بناء تلك الحضارة العربية والإسلامية على حد سواء[3].

كما يلاحظ أن المسيحيين في المدن الشامية الكبرى يمثلون من الناحية الاقتصادية قطاعا نشطا في المجتمع العربي فهم يتمتعون بحماية الدول الأوروبية جراء الامتيازات الممنوحة لهم من قبل الدولة العثمانية، وبذلك لعبوا دور الوسيط بين العرب والعالم الغربي، وقد أتاح لهم ذلك الوضع بأن يتأثروا بالحضارة الغربية وافكارها أكثر من المسلمين من ناحية ، ومن ناحية أخرى تعاطيهم التجاري مع أوروبا جعلهم يكونون طبقة برجوازية ثرية رأت من أنه لابد من أن يكون لها يد في الحكم ولاسيما أنّها مبدئيا كانت بعيدة عن المشاركة مشاركة

[1]– أنيس، المرجع السابق، ص 301.

[2]– بوتشيشة، المرجع السابق، ص 165.

[3]– أنيس، المرجع السابق، ص 234.

فعالة فيه في ظل الدولة العثمانية[1] .

ومن أبرز هؤلاء إلى جانب من تم ذكرهم سابقا **نجيب العازوري** [2]الذي كان له الفضل في نقل القضية العربية إلى الغرب، حيث أسس منظمة قومية سنة 1904م باسم **رابطة الوطن العربي La ligue de la partie Arabe** بباريس والتي كان الغرض منها تحرير بلاد الشام والعراق من سيطرة الاتراك، كما أصدر سنة 1907م دورية بالفرنسية بعنوان **الاستقلال العربL' indepence Arabe** وهدفت إلى التعريف بالقضية العربية والدعاية لها[3].

ويعتبر العازوري أول من نادى بانفصال الولايات العربية وذلك من خلال كتابه **يقظة الأمة العربية La revel de la nation Arabe** الصادر سنة 1905م، حيث يرى بإقامة سلطة عربية تضم المشرق العربي دون مصر وشمال فريقيا، وأن تكون هنالك خلافة عربية إسلامية يتولاها شريفة مكة بسلطة روحية على جميع مسلمي الأرض[4]، وكمسيحي اهتم بتاكيد الحرية الدينية ودعا إلى توحيد الكنائس الكاثوليكية تحت اسم الكنيسة الكاثوليكية العربية، كما حذر **العازوري** من مطامع القوميين اليهود في العودة إلى فلسطين فقال" هناك حادثان مهمان من طبيعة واحدة، لكنهما متعارضان وهما يقظة الامة العربية، والجهد الحتمي لإنشاء ملك إسرائيل القديم من جديد وعلى مقياس أوسع"[5] .

وعموما لم تحدث أفكاره في الحركة العربية الأثر البليغ لأنّها لم تنشأ داخلها،

---

[1]– الصباغ، المرجع السابق، ص227.

[2]– نجيب العازوي (1873–1917م): سياسي ومفكر قومي عربي، ولد بلبنان بعازور، كاثوليكي المذهب فرنسي النشأة، حصل على الدراسات العليا بباريس، ثم تبوأ مساعد حاكم متصرفة القدس سنة 1898م، بعد عودته إلى بلده، لكنه اعتزل هذا المنصب سنة 1904م فارا من الاضطهاد العثماني فكانت وجهته باريس التي أقام بها لغاية وفاته سنة سنة 1916م، ينظر: أمين، المرجع السابق، ص 56.

[3]–نفسه، ص 60

[4]– أحمد زكريا الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516–1916م)، ط 1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص272.

[5]– نجيب العازوري، يقظة الامة العربية، تر وتق: أحمد بوملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د ت، ص125.

بالإضافة إلى صدورها بلغة أجنبية مما أفقدها فعاليتها[1].

ولابد من الإشارة الى أنّ رواد الحركة القومية ومفكريها الذين ظلوا محافظين على ارتباطهم بمفهوم الخلافة الإسلامية، إلى غاية 1909م أين ساءت العلاقة بين العرب والأتراك بعدم استخدام الاتحاديين عقب توليهم الحكم وعزل السلطان عبد الحميد الثاني للأساليب القصرية والقمعة، اذ عمدوا إلى تطبيق سياسة التتريك، حيث حلت اللغة التركية محل اللغة العربية في المعاملات الإدارية والمدارس، وتصاعد التوتر بين القومين العربية والتركية عقب ظهور الحركة الطورانية التي مجدت العنصر التركي، وسعت إلى طمس معالم المقومات العربية الاسلامية [2] . وكان رد القوميين العرب على هذه السياسات التعسفية أن انكبوا على تأسيس الجمعيات السرية والعلنية على غرار الجمعية القحطانية سنة 1909م والجمعية العربية الفتاة وجمعية العهد سنة 1911م، والتي أجمعت بعد عقد المنتدى العربي ببيروت سنة 1913م على المطالبة بكيان عربي مستقل عن الدولة العثمانية[3].

وفي الأخير يمكن القول أنّ الحركات القومية العربية التي بدأت نشاطها بداية من المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر بفعل نشاط الجمعيات الأدبية والعلمية التي تحولت إلى المجال السياسي، والتي عملت على إحياء اللغة العربية والتراث العربي، كانت أداة استخدمتها الدول الأوروبية لتحقيق مآربها الاستعمارية في البلاد العربية من ناحية ومن ناحية أخرى تفويض الدولة العثمانية لإضعافها وسلخ ممتلكاتها بعد أن فرضت عليها التبعية الاقتصادية والثقافية، وتجلى ذلك هذا بصورة واضحة في الانتداب الذي تم فرضه على كل من سوريا ولبنان من طرف الفرنسيين والعراق وفلسطين وشرق الأردن من طرف الانجليز بموجب معادة سايكس بيكون سنة 1917م.

---

[1]– أحمد طربين، تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، سوريا، 1985، ص 385.

[2]– الشلق، العرب والدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 274.

[3]– طربين، المرجع السابق، ص 390.

خاتمة

بعد معالجتنا لموضوع الفكر الأوروبي وتداعياته على بلاد الشّام خلال القرن التاسع عشر توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط التالية:

-تزعم الفكر الأوروبي خلال القرن الثامن عشر كل من فرنسا ذات التوجه الفكري الاجتماعي الذي تجلت أفكاره في مبادئ الثورة الفرنسية سنة 1789م، وإنجلترا ذات التوجه الفكري الاقتصادي بما نصت عليه الثورة الصناعية في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكذا ألمانيا ذات التوجه الفكري الفلسفي من خلال نتاج مفكريها القومي، ومجموع هذه الأفكار لم يبقى حبيس أوروبا بل تعداها إلى العالم العربي وبالأخص بلاد الشّام.

-تسربت الحضارة الغربية وأفكارها ونضمها ومبادئها إلى بلاد الشّام بفعل الاحتكاك الحضاري بين الفكر الغربي والفكر العربي الذي تم عبر عدة منافذ تمثلت في التجربة التحديثية لإبراهيم باشا في بلاد الشّام سنة 1832م، وما ساهمت به في نقل ما أحدثته الحملة الفرنسية بمصر من متغيرات شملت جميع الميادين خاصة الفكرية منها، إلى جانب الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية الأرثوذكسية وما أنشأته من صحف ومطابع ومدارس حملت النمط الأوروبي ومناهجه ونظمه، فضلا عن ما ساهمت به البعثات العلمية وحركة الترجمة في تعريف أهل الشّام بالحضارة الغربية وإنجازاتها.

-استجابت بلاد الشّام للمؤثرات الغربية من خلال محاولة الاقتباس منها والحذو حذوها حيث ظهر تأثير هذه الأخيرة جلياً في عدة ميادين أبرزها ما مس التعليم أين تم إنشاء العديد من المدارس الحكومية والخاصة المبنية على التجربة الأوروبية كما تم استحداث العديد من المطابع التي ساهمت في تنشيط حركة التأليف والمكتبات والتي تزامنت مع ظهور الصحافة الوطنية الهادفة لمعالجة قضايا الشعب وفضح مساوئ الحكم العثماني، نضيف إلى ذلك الجمعيات العلمية والأدبية التي انتقلت من المجال الثقافي نحو المجال السياسي مساهمة بذلك في تبلور الوعي القومي.

- ساهم التصادم الحضاري بين العرب والغرب في تنبيه صحوة المجتمع الشّامي لمدى تخلف مجتمعاتهم مقارنة بالمجتمعات الأوروبية وشساعة الفروق بينهما، حيث حاول

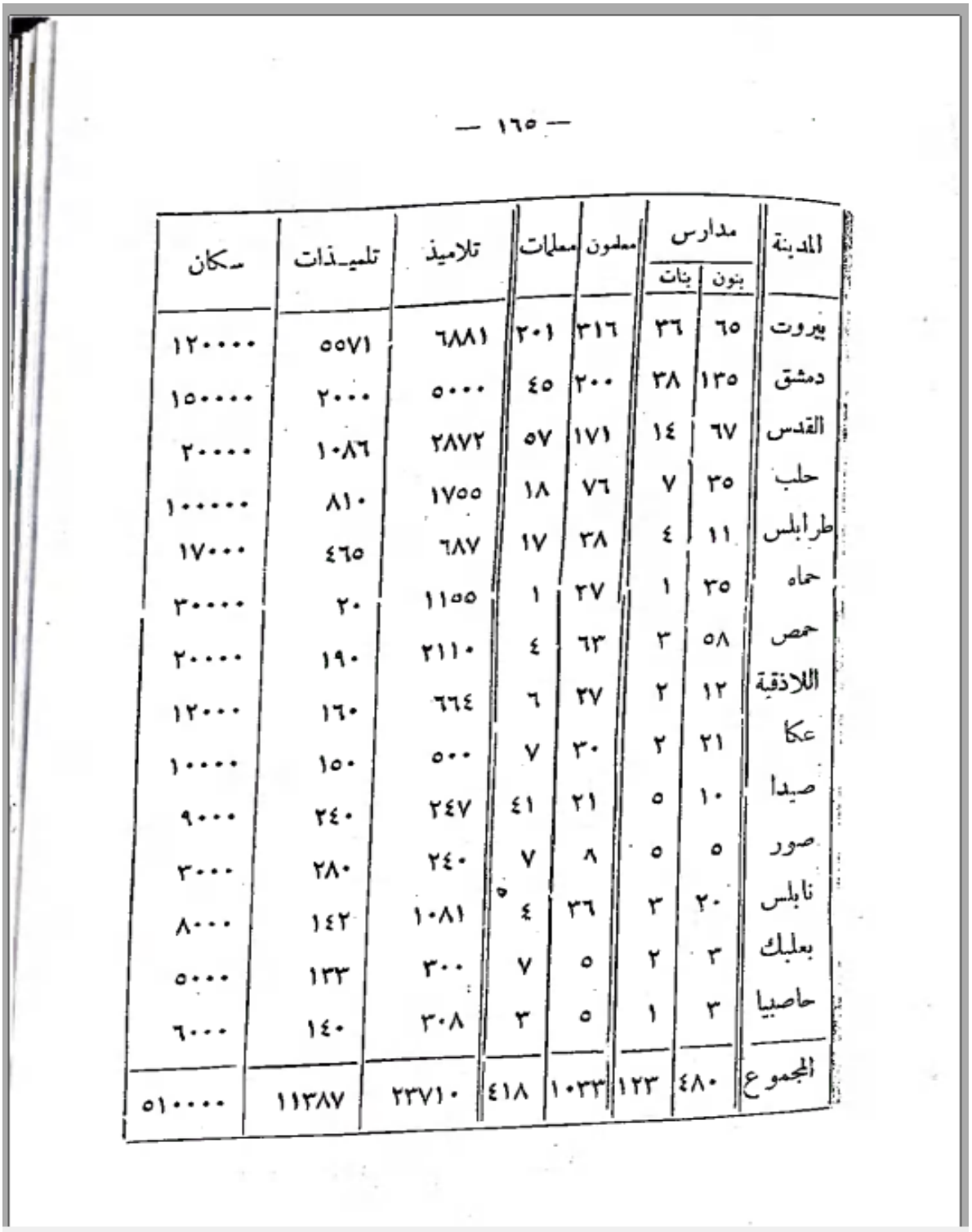
المفكرون والعلماء تدارك هذا الضعف والجهل والنهوض بمجتمعاتهم ومواكبة الركب العالمي، وهذا ما اصطلح عليه بالنهضة العربية التي قادها ثلة من المفكريين من أبرزهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وعبد الرحمان الكواكبي وفارس الشدياق وغيرهم.

-تعد الحرك القومية العربية نتاج الفكر الأوروبي حيث تشكلت وتبلورت بفعل نشاط الجمعيات التنصيرية وعلى رأسها الجمعية السورية السرية، قادها المسيحيون العرب الذين حاولوا إحياء اللغة العربية والتراث العربي تصديا منهم لسياسة التتريك، غير أنّ هؤلاء لم يتعدى كونهم أداة استخدمتها الدول الأوروبية في تقويض الدولة العثمانية من جهة وتحقيق أطماعهم الاستعمارية في البلاد العربية من جهة أخرى.

قائمة الملاحق

الملحق رقم:01.

جدول يوضح توزيع المدارس في بلاد الشام[1]



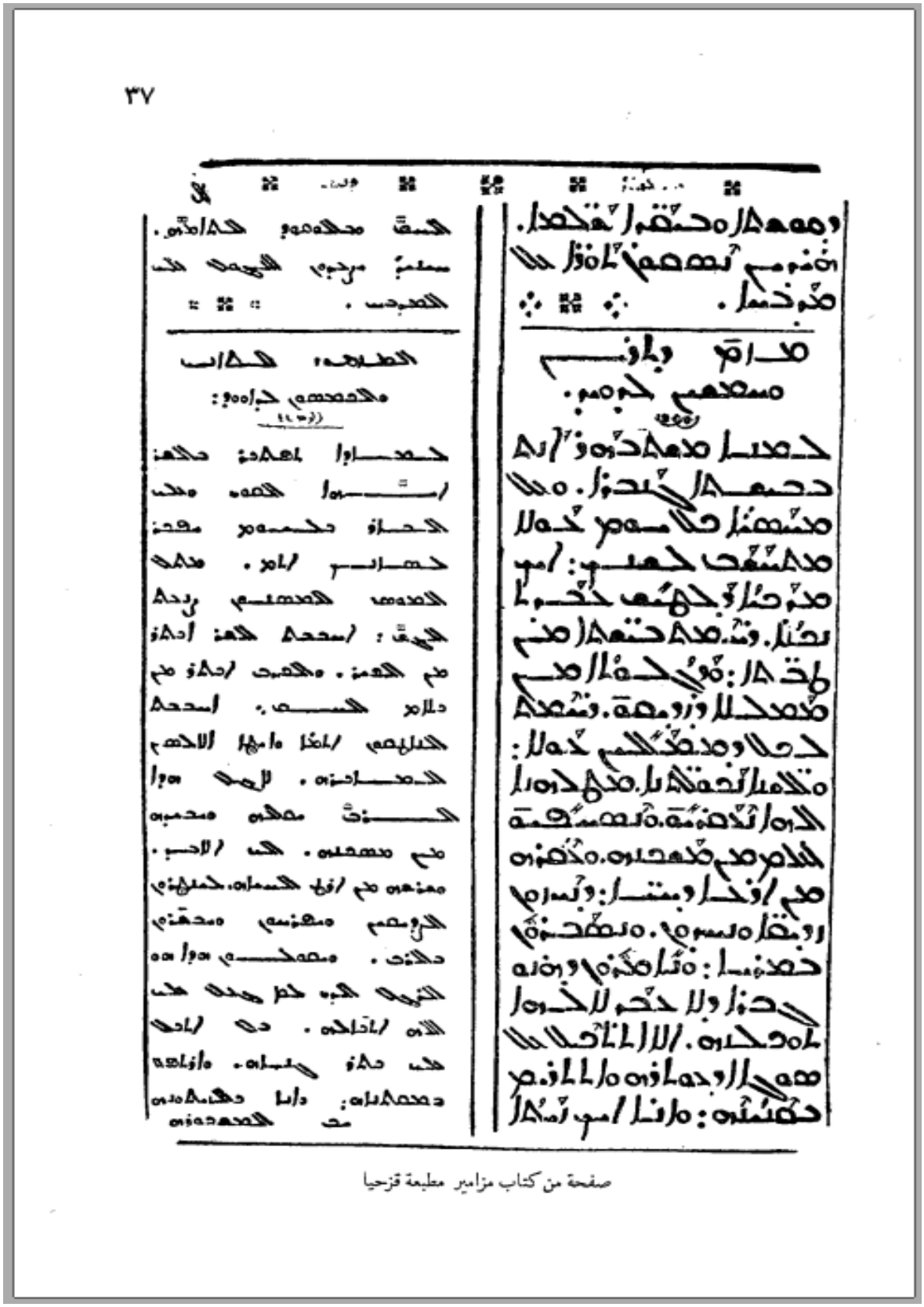
— ١٦٥ —

المدينة	مدارس		معلمون	معلمات	تلاميذ	تلميذات	سكان
	بنون	بنات					
بيروت	٦٥	٣٦	٣١٦	٢٠١	٦٨٨١	٥٥٧١	١٢٠٠٠٠
دمشق	١٣٥	٣٨	٢٠٠	٤٥	٥٠٠٠	٢٠٠٠	١٥٠٠٠٠
القدس	٦٧	١٤	١٧١	٥٧	٢٨٧٢	١٠٨٦	٢٠٠٠٠
حلب	٣٥	٧	٧٦	١٨	١٧٥٥	٨١٠	١٠٠٠٠٠
طرابلس	١١	٤	٣٨	١٧	٦٨٧	٤٦٥	١٧٠٠٠
حماه	٣٥	١	٢٧	١	١١٥٥	٢٠	٣٠٠٠٠
حمص	٥٨	٣	٦٣	٤	٢١١٠	١٩٠	٢٠٠٠٠
اللاذقية	١٢	٢	٢٧	٦	٦٦٤	١٦٠	١٢٠٠٠
عكا	٢١	٢	٣٠	٧	٥٠٠	١٥٠	١٠٠٠٠
صيدا	١٠	٥	٢١	٤١	٢٤٧	٢٤٠	٩٠٠٠
صور	٥	٥	٨	٧	٢٤٠	٢٨٠	٣٠٠٠
نابلس	٢٠	٣	٣٦	٤	١٠٨١	١٤٢	٨٠٠٠
بعلبك	٣	٢	٥	٧	٣٠٠	١٣٣	٥٠٠٠
حاصبيا	٣	١	٥	٣	٣٠٨	١٤٠	٦٠٠٠
المجموع	٤٨٠	١٢٣	١٠٣٣	٤١٨	٢٣٧١٠	١١٣٨٧	٥١٠٠٠٠

[1]– عبد الكريم غرايبية، سورية في القرن التاسع عشر، 1840–1876، دار الجيل للطباعة، مصر، 1962، ص165

الملحق رقم :02.

صفحة من كتاب مزامير، مطبعة القزحية.[1]



صفحة من كتاب مزامير مطبعة قزحيا

[1]- خليل الصابات تاريخ الطباعة في الشرق العربي، ط2، دار المعارف، مصر، 1966، ص37

الملحق رقم :03

قائمة بأسماء الصحف والمجلات العربية التي صدرت في فترة العهد العثماني.[1]

قائمة بأسماء الصحف والمجلات التى صدرت فى فترة العهد العثمانى

السنة	١ — ولاية حلب
١٨٦٧	غدير الفرات (رسمية) .
١٨٦٩	الفرات (رسمية) .
١٨٧٧	الشهباء .
١٨٧٩	الاعتدال .
١٩٠٨	الحوادث الداخلية . حلب الشهباء . صدى الشهباء . التقدم .
١٩٠٩	الخطيب . الشعب .
١٩١٠	مسخرة . كشكول . الأهالى . لسان الأهالى . الإعلان .
١٩١١	تنوير الأفكار . مكتبل . المرسح . النهار . الصدق . العفريت . هوبالا . الغول . تثبت

السنة	٢ — ولاية سوريا
١٨٦٥	سوريا (رسمية) .
١٨٧٩	دمشق .
١٨٩٦	الشام .
١٩٠٨	العصر الجديد . تكمل . المقتبس . روضة الشام .
١٩٠٩	دمشق . ظهرك بالك . السكة الحجازية . حط بالخرج .

[1]- شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية واللبنانية، ممن العهد العثماني حتى الاستقلال، 1800–1947، ج1، منشورات أسمار، باريس 2006، ص295، فما بعدها.

السنة	تابع ولاية سوريا
	اعطيه جملة . حمص . موارد الحكمة . الراوى . الأمة . هلال عثمانى . لسان الشرق .
١٩١٠	النفاخة . الشرق . اسمع وسطح . المنتخبات . الكائنات . انخلى يا هلالة . المكنسة . ضاعت الطاسة .
١٩١١	جحى . البارقة . النفاخة . النديم . بردى . السيف . نهر العاصى . المدرسة . جادة الرشاد . الجولان .
١٩١٢	المهاجر . المشكاة . الاشتراكية . الأصمعى . الضمير . قبس . الصارخ . الوفاق . المجد . دليل حمص . التنبيه .
١٩١٣	القبس . جراب الكردى .
١٩١٥	الاتحاد الإسلامى .
١٩١٦	الشرق . الشرق . (مصور) .
١٩١٧	حماه .

السنة	٣ — ولاية بيروت
١٨٥٨	حديقة الأخبار .
١٨٦٠	نفير سوريا .
١٨٦٣	أخبار عن انتشار الإنجيل .
١٨٦٦	النشرة الشهرية .
١٨٧٠	الجنة . البشير .

السنة	تابع ولاية بيروت
١٨٧١	كوكب الصبح المنير . الجنينة . النشرة الأسبوعية .
١٨٧٤	التقدم .
١٨٧٥	ثمرات الفنون .
١٨٧٧	لسان الحال .
١٨٨٠	المصباح .
١٨٨٣	الهدية .
١٨٨٦	بيروت (رسمية)
١٨٨٨	دليل بيروت .
١٨٨٩	الفوائد .
١٨٩١	الأحوال .
١٨٩٣	طرابلس .
١٨٩٦	النشاط (مدرسية) .
١٨٩٨	المنار .
١٨٩٩	روضة المعارف . المنارة (مدرسية) .
١٩٠٠	الكنانة (مدرسية) .
١٩٠٢	العلمية (مدرسية) . النهضة الأدبية (مدرسية) . صدى الاستعدادية (مدرسية) . الرقيب (مدرسية) . الإقبال .
١٩٠٣	العصر (مدرسية) .
١٩٠٤	ثمرة النجاح (مدرسية) . الباكورة .
١٩٠٦	المبتدئون (مدرسية) .

قائمة البيبليوغرافيا

المصادر العربية والمعربة:

1- **البستاني** بطرس، نفير سورية، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م.

2-.....، خطاب في الهيئة الاجتماعية والمقابلة بين الفوائد العربية والإفرنجية، د ط، مطبعة المعارف، بيروت، 1869م.

3-الجبرتي عبد الرحمن بن حسن، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تق: عبد الرزاق عيسى وعماد أحمد هلال، ج2، العربي لنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1998م.

4-زيدان جرجي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2011م.

5-طوسون عمر، البعثات العلمية في عهد محمد علي، د ط، مطبعة صلاح الدّين، الإسكندرية، 1934م.

6- العازوري نجيب، يقظة الأمة العربية، تر: أحمد بوملحم، المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د ت.

7- قساطلي نعمان، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، د ط، د د، بيروت، 1879م.

8-كرد علي محمد، خطط الشام، ج4، مكتبة النوري، ط2، دمشق ، 1983م.

9-.....، حال بلاد الشّام في أوائل القرن الرابع عشر هجري، تق: محمد ابن موسى الشريف، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، 2008م.

المصادر الأجنبية:

1- **Kant,** la religion dans les limites de la simpleroison, Aubier, Paris,1997**.**
2- **Locke** Jean, Dexiene de goeverenent civil, Vrin , 1902**.**
3- **Montesquieu,** De L'esprit des lois, Gornier Flamarian ,Paris ,1837.

المراجع العربية:

1- أحمد صلاح الدّين زكي، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2002م.

2-الأخضر ضيف الله، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980م.

3-أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم، مصر، 2011م.

4-أنس أحمد، تاريخ الدولة العثمانية في المشرق العربي (1514-1914م)، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، د ت.

5-باومر-ل-فرانكلين، الفكر الأوروبي الحديث في القرن 17م، تر : أحمد حمدي محمود، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1987م.

6- براون جيفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر : علي المرزوقي، ط 1، دار الأهلية، الأردن، 2006م.

7- البرغي أحمد حسن، الثورة الصناعية وآثارها الاجتماعية والقانونية، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.

8- البستاني يوسف، النسر الأعظم، د ط، مؤسسة هنداوي، للثقافة، مصر، د ت.

9- **البطريق** عبد الحميد ونوار عبد العزيز، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن 18م، د ط، دار الفكر العربي، مصر،1997م.

10-توشار جان، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ج 2، ط 1، دار التكوين، دمشق، 2010م.

11- الجندي أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، ط 1، دار الإرشاد، بيروت، 1967م.

12-الجندي خالد، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، د ط، المدرسة السلطانية، أنقرة، 2016م.

13-حاطوم نور الدّين، تاريخ الحركات القومية، ج 1، ط 1، دار الفكر، مصر، 1979م.

14-حوراني ألبرت، تاريخ الشعوب العربية، تر: أسعد صقر، ط 1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1997م.

15- خاطر نصري، تااريخ أوروبا الحديث، ط 1، الجنادرية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.

16-خالدي مصطفى، فروح عمر، التبشير، والاستعمار في البلاد العربية، ط 1، المكتبة العلمية، بيروت،1953م.

17- الخوري ماجد، الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة (1800-1922م)، دار النهار للنشر، بيروت، 1992م.

18-الدّباغ عائشة، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن 19م ومطلع القرن 20م، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1972م.

19-دي طرازي فيليب، تاريخ الصحافة العربية، ج 1، د ط، المطبعة الأدبية، بيروت، د ت.

20-الرّفاعي شمس الدّين، تاريخ الصحافة السورية واللبنانية(1800-1947م)، ج 1، د ط، منشورات السمار، باريس، 2006م.

21رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج 2، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996م.

22-سبكي آمال، أوروبا في القرن 19م، ط 1، عالم المعرفة، جدة، 1985م.

23- سترومبرج رونالد، تاريخ الفكر الأوروبي، تر: أحمد الشيباني، ط 3، دار القارئ العربي، مصر، 1994م.

24-سعيد حبيب، أعلام الفكر الفرنسي، د ط، دار الشرق والغرب، القاهرة، 1950م.

25-سيول ألبير، تاريخ الثورة الفرنسية، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسيني، ط 4، منشورات عويدات، بيروت،1989م.

26-شُعيب عبد المنعم، التدخل الأجنبي وأزمات الحكم، ط 1، دار الفارابي، بيروت، 2005م.

27-الشبلي فيصل، بلاد الشّام في ظل الدولة المملوكية الثانية، ط 1، دار الزمان، دمشق، 2008م

28-شلبي جمال الدّين، تاريخ الترجمة في مصر، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

29-الشّلق أحمد زكريا، الحداثة والإمبريالية، ط 1، دار الشروق، مصر، 2006م.

30-.....، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1514-1916م)، ط 1، العربية للنشر والتوزيع، مصر،2002م.

31-شيلرليندا، دمشق في القرنين 18 و19م، تر: عمرو صلاح، ط 1، ذار الجمهورية، دمشق، 1998م.

32-**الصابات** خليل، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، ط 2، دار المعارف، مصر، 1966م.

33-**الصباغ** ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط 3ن دار الكتاب، دمشق، 1988م

34- **صالح** أشرف السيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، ط 1، دار الناشرين، لكويت، 2009م.

35-**طربين** أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، سوريا، 1985م.

36-**عبده إبراهيم**، تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية 1798-1801م، مكتبة الآداب بالجماميز، ط2، د م 1949م.

37-**عمر** عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516-1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.

38-**عيسى** عبد الرزاق عبد الرزاق، التنصير الأمريكي في بلاد الشّام (1834-1914م)، ط، العربية للطباعة، القاهرة، 2005م.

39-**غربي** الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثماني والمشرق العربي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م

40-**غرايبية** عبد الكريم، سورية في القرن 19م(1840- 1876م)، دار الجيل للطباعة، مصر، 1961م.

41-**فارجيت** جي، محمد علي مؤسس مصر الحديثة مؤسس مصر الحديثة، تر: محمد رفعت جواد، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2003م.

42-**لوقا** إسكندر، الحركة الأدبية في دمشق (1800-1918م) إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1970م.

43-**المحافظة** علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914م)، ط 2، دار الأهلية، بيروت، 1993م.

44-**معاليقي** منذر، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، تق: ياسين الأيوبي، دار اقرأ، بيروت، 1986م.

45-**نصيرات** فدوى، المسيحين العرب فكرة القومية العربية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2009م.

46-**نعيمة** يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين (1776-1840م)، ج 2، ط 1، طلاس للدراسات والترجمة، 1986م.

47-**وودز** ريتشارد، الإصلاح والإسلام، تر: محب الدين الخطيب، د د، القاهرة، 1912م.

48-**يحي** جلال، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة، ط 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981م.

ب-الأجنبية:

1- **Cook** harold, High lightison Christien, Missions, Hody press, Chicago,1972.
2- **Evend Emine** onlan,Empire and Education under The otomanM politic reform and resistance from the tanzimot to The yong turks London,2012, P 92**.**
3- **Hassard,** P , la crise de la conscience europiene(1680-1750), fyard,1992**.**
4- **Nopier**, Commode pircharles , The war in cyria , London, 1842.
5- **Ferdandinand** Perrier, La syrie Sous les govrenement de mohemet Ali,Paris, 1840**.**
6- **Willson** Samuel, Mission Hand book North American protastont ministries over seas ,Marc, California, 1980**.**

المقالات:

1-بلال هدى ، " الصراع العثماني لمصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه"، **مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية**، ع 3، العراق، 2011م.

3-**بودربالة** علي، "الترجمة ودرها في فكر النهضة العربية الحديثة"، **مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية**، ع 1، الجزائر، 2020م.

4-**رحماني** فاطمة الزهراء، "الرحلة أدا تواصل بين العرب والغرب الأوروبي خلال القرن **19م**"، **مجلة دراسات وابحاث**، ع 4، بوزريعة، 2018م.

5-**السمارة كندة،** "التحولات الفكرية والتعليمية في دمشق ودورها في التمدن الجديد"، **مجلة الفنون والادب وعلوم الانسانيات،** ع 11، العراق، 2018م.

6-**عبيدات ميسون،** "الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الإدارية في ولاية سوريا (1864-1914م)"، **مجلة حوليات عين شمس،** ع 37، مصر 2009م.

7-**عساف ساسين،** "القومية العربية أسباب التعثر وسبل النهوض"، **مجلة الفكر العربي، ع 90، بيروت، 1997م.**

8-**المجالي أحمد،** "الحياة التعليمية في منطقة شرق الأردن أواخر العهد العثماني (1864- 1918م)"، **مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية،** ع 1، الأردن، 2017م.

9-**اليافي عبد الكريم،** " التعليم في بلاد الشّام في القرن 19م أوائل القرن 20م"، **مجلة التراث العربي،** ع45، مصر، 1991م.

المذكرات والأطروحات الجامعية:

1-**بليدي** خليدة، الحملة الفرنسية على مصر والجزائر (1798-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ والمعاصر، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2011-2012م.

2-**بوجلطي** فطيمة، انعكاسات الامتيازات الأجنبية على بلاد الشام خلال القرن 19، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2010-2011م.

3-**بوتشيشة** عبد القادر، بلاد الشّام بين أنصار الوحدة العثمانية ودعاة الفكر القومي (1860-1908م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2017-2018م.

4- **جاوس** فريدة، دور العلماء في النظام التعليمي في القدس أواخر العهد العثماني (1800-1958م)، رسالة ماجيستير في التاريخ العربي الإسلامية، جامعة بيروت، لبنان، 2010-2011م.

5-**الحنفي** يسرى محمد، الارساليات الأجنبية الى بلاد الشّام، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلام الحديث، جامعة أم القرى، 1996.

6- **الحويتي** عبد العزيز علي، دراسة تحليلية لمجلة الإباء الياسوعيين الكاثولكيين، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة طيبة، السعودية، 2002م.

7-**رحماني** فاطمة الزهراء، حركات التحديث في مصر وتونس خلال القرن 19، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الحديث، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2019-2020م.

8-عبيد مصطفى، التأثير الفرنسي في الحضارة الشرقية من خلال موسوعتي وصف مصر واستكشاف الجزائر العلمي، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، 2013-2014م .

9-**العشران** عبير موسى، الحياة الاجتماعية في ولاية سوريا (1841-1914م)، رسالة ماجيستير في التاريخ، الجامعة الأردنية، الأردن 1997م.

10- **علواش** فتيحة، الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن 10هـ-16م إلى منتصف القرن 13هـ-19م، رسالة الماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر الدولة العثمانية والمشرق العربي، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 2013-2014م

11- **المحافظة** علي، الوحدة المصرية السورية في الصحافة الأردنية واللبنانية (1958-1961م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، الجامعة الأردنية، الأردن، 1997م.

12- **هادي مراح**، الاتجاهات القومية في تقويض الدولة العثمانية 1876-1923م (القوميتان العربية والتركية والجماعات اليهودية)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020م.

13- **النايف حسام**، السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشّام (1840-1878م)، رسالة ماجيستر في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، سوريا، 2014م

الفهرس

المحتويات

البسملة

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-و

المبحث الأول: أصول الفكر الأوروبي..... 7-23

المطلب 01: الفكر الفرنسي..... 11-16

المطلب 02: الفكر الإنجليزي..... 16-19

المطلب 03: الفكر الألماني..... 20-23

المبحث الثاني: منافذ الاتصال بين الشّرق والغرب..... 24-37

المطلب 01: التجربة التحديثية لإبراهيم باشا في بلاد الشّام..... 25-29

المطلب 02: الإرساليات التنصيرية وحركة الترجمة..... 30-37

أ-الإرساليات التنصيرية..... 30-33

ب-حركة الترجمة..... 34-37

المبحث الثالث: مظاهر ونتائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام..... 38-69

المطلب 01: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في ميدان التعليم..... 39-47

أ-في عهد إبراهيم باشا..... 39-42

ب-في عهد الدولة العثمانية..... 42-47

1-المدارس الرسمية..... 43-45

2-المدارس الخاصة..... 45-47

المطلب 02: مظاهر تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام في ميدان 47-59

أ-الطباعة..... 47-50

ب-الصحافة..... 51-55

ج- الجمعيات 56-59

المطلب 03: تائج تأثير الفكر الأوروبي على بلاد الشّام..... 69-59
أ-النهضة العربية الحديثة..... 63-59
ب-الحركة القومية العربية..... 69-65
خاتمة 72-70
قائمة الملاحق 78-73
قائمة البيبليوغرافيا 87-79
الفهرس 90-89